جمالية الإنشاء الطلبى

فى عينية

لقيط بن يعمر الإيادى

□

□

□

الدكتورة

انتصار محمود حسن سالم

مدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالزقازيق

المقدمة

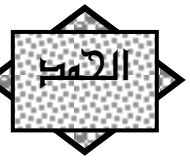

لله رب العالمين ،منزل الكتاب بلسان عربى مبين، والصلاة والسلام على أفصح المرسلين، سيدنا محمد الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد ،،،

فالشعر الجاهلى يمتاز بأنه البداية المؤسسة الراسخة لعصور الشعر العربى التى توالت فيما بعد، ومن ثم حظى هذا الشعر باهتمام الباحثين، ومتذوقى الأدب، والمستشرقين، واعتبروه القمة الشامخة للفن العربى الأول.

وقد قام الشعر الجاهلى على كاهل عدد من الشعراء الفحول الذين حافظوا على وجهه الجميل ، وأورثوا قيمه الفنية للأجيال التالية، وأبدعوا فيه قصائد رائعات وظفوها فى تصوير انفعالاتهم، وتشخيص آلامهم وآمالهم ، والتغبير عن سلوكياتهم، وعاداتهم وتاريخهم ومساجلاتهم الماتعة.

ولقيط بن يعمر الإيادى واحد من هؤلاء الشعراء الفحول الذين جاء شعرهم – على قلته– مترجما عن عواطفهم تجاه مجتمعاتهم القبلية.

وقد قدر لهذا الشاعر أن يقع فريسة لمحنة عظيمة علم بها من خلال عمله كاتبا للرسائل فى ديوان كسرى ،ألا وهى محنة غزو كسرى ملك الفرس لقبيلته إياد، فسببت فى نفسه آلاماً عميقة، واستثارت فيها انفعالات عنيفة، ليذوق الذلة بعد العز، والضيق بعد السعة، والاكتواء بنار التجربة، والشقاء بجليد المحنة، مما جعله يحمل قيثار شعره التحذيرى ليرتل عليه دلائل إنذاره لقومه فى رسالته التى حرص على إبلاغها إليهم عبير الفيافى والقفار، خوفا عليهم من أن تستأصل شأفتهم – على يد كسرى وجنوده

الذين امتلأت قلوبهم حنقا وحقداً عليهم – وإنذاراً لهم من خطر داهم يدبر لهم فى الخفاء، لعل فيهم من يرى ومن يسمع.

لذا وجدتنى مدفوعة إلى مصاحبة الشاعر فى هذه المحنة الرهيبة من خلال رسالته التحذيرية إلى قومه، والمتمثلة فى عينيته، ومسلطة الضوء على عبقريته الشعرية الفذة التى كانت خير معين له فى هذه المحنة، وذلك من خلال دراسة جمالية الإنشاء الطلبى فى هذه العينية، لما له من مكانة بلاغية فى الكشف عن خبايا النفس، وخفايا أسرارها، وتدعيم الحجة بالدليل والبرهان، مما يناسب المقام الذى سيقت من أجله هذه القصيدة (العينية) التى نالت شهرة واسعة فى كتب التراث العربى ، بأنها خير قصيدة تحذيرية نظمها العرب.

وهذه العينية محل الدراسة نص شعرى من ديوان لقيط بن يعمر الإيادى – تحقيق عبدالمعين خان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت– سنة ١٩٨٧م.

ولما كان البحث قائماً على الدراسة التطبيقية فإننى لم أتعرض كثيراً لذكر المصطلحات البلاغية القائمة على التقسيم، وكثرة الآراء البلاغية.

وقد حاول هذا البحث أن يطيل النظر بتأن وشمول فى عينية لقيط بن يعمر الإيادى عبر شعره بحثا عن جمالية الإنشاء الطلبى فيها، وقد استقام له ذلك من خلال ثلاثة محاور، تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

المحور الأول: لقيط بن يعمر الإيادى سيرة حياة.

المحور الثانى: عينية لقيط وقيمتها الفنية.

المحور الثالث: جمالية الإنشاء الطلبى فى عينية لقيط.

ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات التى أسفر عنها هذا البحث.

وبعد.. فقد بذلت جلّ جهدى فى إخراج هذا البحث على وجه أرتضيه، وآمل من الله – عز وجل – أن ينال رضاكم، وأن يكون فاتحة دراسات أخرى على الدرب نفسه.

الله أسأل أن يوفقنى لإتمام ما بدأته ، وتحقيق ما قصدته ، وأن أكون ممن تجتهد فتصيب، إنه سميع مجيب.

د. انتصار محمود حسن

المحور الأول

(لقيط بن يعمر الإيادى سيرة حياة)

نسبه :

هو لقيط بن يعمر بن خارجة بن عوثبان الإيادى[١] لم يعرف شيء عن أجداده أو عن مولده أو عن نشأته[٢]. إلا أن الزركلى ذكر وفاته سنة ٣٨٠م[٣].

كان من خير خطباء إياد وشعرائها "عاش فى فترة عصيبة من تاريخ العرب حيث اتحدت قبائل الحيرة العربية لأول مرة وثارت على الحكم الفارسى وكان للقيط دوره الفعال فى تلك اليقظة القومية ، إذ استطاع بقصيدته العينية المشهورة أن يقنع قبائل إياد بالاتحاد والاحتشاد لمواجهة الجيوش الفارسية الزاحفة"[٤]، وذلك بحكم وظيفته فقد كان "مترجماً وكاتبا للمراسلات فى ديوان كسرى"[٥]،مما أتيح له أن يطلع على الكثير من شئون الملك وأسرار الدولة.

---

(١) ديوان لقيط بن يعمر: ص ١١ ت عبدالمعين خان، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٩٨٧م.

(٢) نفسه: ص ١٢.

(٣) الأعلام للزركلى جـ٦٥ ص١٠٩ ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٦٩م.

(٤) مقدمة ديوان لقيط : ص ٧.

(٥) مختارات ابن الشجرى : ص ٢ ت على محمد البجاوى ط دار نهضة مصر سنة ١٩٧٥م.

قبيلة الشاعر وديانتها :

ينتسب الشاعر إلى قبيلة إياد أحد الفروع الأربعة التى يتفرع فيها نزار بن معد بن عدنان وهى : ربيعة ومضر وأنمار وإياد ، وكانت إياد تحظى بمنزلة عالية وتقدير بالغ، ولكنها اضطرت إلى هجر مستوطنها تهامة إلى مناطق أخرى من الجزيرة العربية بسبب القحط ، فنزلت فى نواحى العراق فى منطقة واقعة بين البحرين وسنداد والخورنق ، وبدأ عددها ينتشر على ضفة الفرات حتى بلغت حدود الجزيرة العربية ، ثم أخذت تهاجم المواطنين الآمنين فى العراق ، وبلغت هجماتها ذروتها حين سبت عروساً فارسية نبيلة كانت تزف إلى زوجها ، فأثار ذلك غضب الملك الفارسى ، وحفزه إلى إرسال جيش كبير من الفرسان لمهاجمة إياد ، فانقضت إياد على جيش الملك وقضت عليه تماماً ، وتكدست جماجم القتلى فى أرض المعركة ، حتى سمى اسم الدير الذى أنشئ هنالك باسم دير الجماجم[١]. فأعاد كسرى الكرة عليهم وأرسل جيشا أقوى وأكبر فى نحو ستين ألفا استطاع به أن يقضى على بأس إياد[٢]، وتقطعوا فى الأرض إرباً.

وأما عن ديانتها : فقد كانت إياد تدين فى القديم بالوثنية حيث كانت تعبد صنماً يدعى ذو الكعبين أو الكعبات ، بنت له هيكلاً فى سنداد عرف باسم كعبة شداد ، ولكن بعد هزيمتهم أمام الفرس وهجرتهم إلى نواحى الشام اعتنقوا المسيحية ، ثم بعد ذلك اعتنقوا الإسلام[٣].

---

(١) مقدمة الديوان :ص ٩.

(٢)الشعر والشعراء ابن قتيبة : جـ١ ص ٢٠٩ ت أحمد محمد شاكر ط ثالثة.

(٣) انظر مقدمة الديوان : ص ١١.

المحور الثانى

(عينية لقيط وقيمتها الفنية)

مناسبة النص :

تذكر الأخبار أن لقيطا كتب قصيدته هذه فى صحيفة واتخذ لها عنوانا ضمنه الغرض من كتابتها ، وهو أن جموع كسرى متوجهة إلى قومه ، بعد أن حشدوا حشودهم ، وأعدوا العدة لغزوهم ، ويحذرهم من الغفلة والانشغال برعى الأغنام ، فى حين إن الخطر جسيم والخطب عظيم ،مفتتحا صحيفة بأبيات يقول فيها :

سلام فى الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد آتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد
آتاكم منهم ستون ألفا يزجون الكتائب كالجراد

على حنق آتيناكم فهذا آوان هلاكم كهلاك عاد

وحين بلغ كسرى أن لقيطا أبلغ قبيلته بتوجه الجيوش الفارسية لغزوهم غضب عليه وقطع لسانه ثم قتله(١).

---

(١) مختارات بن الشجرى صـ٢.

النص

(عينية لقيط بن يعمر الإيادى)

١- يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
٢- تامت فؤادى بذات الجزع خرعبة مرت تريد بذات العذبة البيما
٣- بمقلتى خاذل أدماء طاع لها نبت الرياض تزجى وسطه ذرعا
٤- وواضح أشنب الأنياب ذى أشر كالأقحوان إذا ما نوره لمعا
٥- جرت لما بيننا حبل الشموس فلا بأسا مبينا أرى منها ولاطمعا
٦- فما زال على شحط يؤرقنى طيف تعمد رحلى حيثما وضعا
٧- إنى بعينى إذ أمت حمولهم بطن السلوطح لا ينظرن من تبعا
٨- بل أيها الراكب المزجى مطيته إلى الجزيرة مرتاد ومنتجعا
٩- أبلغ إيادا وخلل فى سراتهم إنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا
١٠- يا لهف نفسى إن كانت أموركم شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
١١- إنى أراكم وأرضا تعجبون بها مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
١٢- ألا تخافون قوما لا أبالكم أمسوا إليكم كأمثال الدبى سرعا
١٣- أبناء قوم تآيوكم على حنق لا يشعرون أضر الله أم نفعا
١٤- أحرار فارس أبناء الملوك لهم من الجموع جموع تزدهى القلعا
١٥- فهم سراع إليكم بين ملتقط شوكا وآخر يجنى الصاب والسلعا
١٦- لو أن جمعهم راموا بهدته شم الشماريخ من ثهلان لا نصدعا
١٧- فى كل يوم يسنون الحراب لكم لا يهجعون إذا ما غافل هجعا
١٨- خزر عيونهم كأن لحظهم حريق غاب ترى السنا قطعا
١٩- لاالحرث يشغلهم بل لا يرون لهم من دون بيضتكم ريا ولا شبعاً

٢٠- وأنتم تحرثون الأرض عن سفه فى كل معتمل تبغون مزدرعاً
٢١- وتلقحون حيال الشول آرنة وتنتجون بدار القلعة الربعا
٢٢- وتلبسون ثياب الأمن ضاحية لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا
٢٣- وقد أظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا
٢٤- مالى أراكم نياما فى بلهنية وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
٢٥- فاشفوا غليلى برأى منكم حصد يصبح فؤادى له ريان قد نقعا
٢٦- ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعاً إذا يقال له أفرج غمة كنعا
٢٧- يسعى ويحسب أن المال أخلده إذا استفاد طريفا زاده طمعا
٢٨- فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا
٢٩- ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة كما تركتم بأعلى بيشة النخعا
٣٠- صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم وجددوا للقسى النبل والشرعا
٣١- أذكوا العيون وراء السرح واحترسوا حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
٣٢- وأشروا تلادكم فى حرز أنفسكم وحرز أهلكم لا تهلكوا هلعا
٣٣- فإن غلبتم على ضن بداركم فقد لقيتم بأمر الحازم الفزعا
٣٤- لا تلهكم إبل ليست لكم إبل إن العدو بعظم منكم قرعا
٣٥- لا تثمروا المال للأعداء إنهم إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا
٣٦- هيهات لا مال من زرع ولا إبل يرجى لغابركم إن أنفسكم جدعا
٣٧- والله ما انفكت الأموال مذ بدا لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا
٣٨- يا قوم إن لكم من إرث أولكم مجدا قد أشفقت أن يفنى وينقطعا
٣٩- ماذا يرد عليكم عز أولكم إن ضاع آخره أو ذل واتضعا
٤٠- يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا على نسائكم كسرى وما جمعا

٤١- يـــا قـــوم بيضتكم لا تفجعن بها إنـــى أخـــاف عليها الأزلم الجزعا
٤٢- هـــو الجلاء الذى يمتص أصلكم فمـــن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
٤٣- قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ثم أفزعوا قد ينال الأمن من فزعا
٤٤- وقـــلـــدوا أمـــركـــم لله دركـــم رحب الذراع بأمر الحـــرب مضطلعا
٤٥- لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عـــض مكـــروه بـــه خشعا
٤٦- لا يطعـــم النـــوم إلا ريث يبعثـــه هـــم يكـــاد شبـــاه يفصـــم الضلعا
٤٧- مســـهد النـــوم تعنيـــه أموركـــم يـــروم منها إلـــى الأعـــداء مطلعا
٤٨- ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكـــون متبعـــاً طـــوراً ومتبـــعـــاً
٤٩- حتى استمرت على شذر مريرته مستحكم الرأى لاقحمـــا ولا ضـــرعا
٥٠- وليـــس يشـــغله مـــال يثمـــره عنكـــم ولا ولـــد يبغـــى لـــه الرفعا
٥١- كمـــا لك بن قنـــان أو كصـــاحبه عمـــرو القنا يوم لاقى الحارثين معا
٥٢- إذ عابـــه عائب يومـــا فقـــال له دمـــث لجنبك قبـــل الليل مضطجعا
٥٣- فثـــــاوروه فـــألفـــوه أخا علل فى الحرب لا عاجزاً نكسا ولا ورعا
٥٤- لقد بذلت لكم نصحـــى بلا دخل فاستيقظوا إن خيـــر العلـــم ما نفعا
٥٥- هـــذا كتـــابى إليكم والنـــذير لكم لمـــن رأى رأيه منكـــم ومن سمعا[1]

---

(١)القصيدة من ديوان لقيط بن يعمر الإيادى ص ٣٦، وما بعدها تحقيق عبدالمعين خان – ط مؤسسة الرسالة بيروت – سنة ١٩٨٧م.

قيمة النص الفنية :

لم يبق من شعر لقيط بن يعمر الأيادى إلا هذه القصيدة الرائعة التى نالت شهرة واسعة فى كتب التراث فقد جعلها "ابن الشجرى" أول قصيدة فى مختاراته[١] ويراها ابن دريد خير قصيدة تحذير نظمها العرب، كذلك المبرد اقتبس بعض أبياتها فى الكامل مثالاً على خير وصف للقائد[٢].

وأما طيفور صاحب كتاب المنثور والمنظور، فيقول عنها:" ومن القصائد المفردات الجاهليات التى يعرف فى مثل معناها وجودتها وجزالة ألفاظها، على أن قوماً قد قالوا فى التحريض أشعاراً قد ذكرناها وليست كهذه، قصيدة لقيط بن يعمر الإيادى ولا أعرف مثلها لمتقدم ولا محدث"[٣].

إطلالة على النص :

قبل أن أقوم بدراسة جمالية الإنشاء الطلبى فى عينية لقيط بن يعمر الإيادى، أود أن أعرض فى عجالة للأجواء الفكرية التى احتواها هذا النص .

بدأ الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية جرياً على عادة الشعراء الجاهلين، وحاول أن يظهر فى هذه المقدمة مهموماً حزيناً قلقاً لفراق محبوبته (عمرة)، وذلك حتى يوجد نوعاً من الربط النفسى بين هذه المقدمة وبين مضمون القصيدة ، ثم تلا ذلك إنذار وجهه إلى قومه باستعداد الفرس لحربهم استعداداً شغل ليلهم ونهارهم.

---

(١) مختارات ابن الشجرى: ص٢ وما بعدها.

(٢) الديوان : ص١٤.

(٣) المنثور والمنظور لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور : ص٦٣ ت محسن عياص، بيروت سنة ١٩٧٧م .

ثم بعد ذلك أظهر تبرمه وأسفه وحسرته بغفلة قومه وتشاغلهم على الخطر المحدق بهم، ثم سرعان ما تخلص من هذا إلى إشارتهم وتحريضهم وتوجيههم لإعداد العدة الحربية، وبعد أن فرغ من ذلك قدم لهم الصفات المثلى التى ينبغى أن يراعوها وهم يختارون قائدهم الحربى، وكان مجيدا كل الإجادة فى هذا القسم وبه شهرت القصيدة، ويعتبر أول من فصل القول فى هذا الغرض ، وتعد القصيدة فى نظر النقاد من غرر الشعر العربى القديم .

المحور الثالث

(جمالية الإنشاء الطلبى فى عينية لقيط بن يعمر الإيادى)

الإنشاء الطلبى المدلول والقيمة:

الإنشاء لغة :

مأخوذ من الفعل نشأ فتقول : نشأ الشيء نشئاً ونشوءاً ونشأة : حدث وتجدّد ، قال الفراهيدي : النشأ : إحداث الناس الصغار، يقال للواحد هو نشأ سوء ، وهؤلاء نشأ سوء، والناشيء الشاب يقال : فتى ناشيء ، ولم أسمع هذا النعت في الجارية [١] .

والإنشاء بمعنى الإيجاد قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ ﴾ [٢] . أي أوجدكم، والنشأة : الإيجاد والتربية ، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ [٣] .

الإنشاء اصطلاحاً :

وهو كلام لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته وقد سماه القزويني (إنشاءاً) وسماه السكاكي (طلباً) والتسميتان تدلان على معنى واحد ، فالسكاكي يقول: " والطلب إذا تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول " [٤] .

---

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٦ / ٢٨٧ مادة(نشأ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩٨ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٤٧ .

(٤) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي / ١٤٥ .

أما القزويني فهو يقول : " الإنشاء ضربان : طلب وغير طلب ، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل " [١] ، أي أنه يقصد بكلامه الإنشاء الطلبي ، وأما غير الطلب فلم يتعرض له ، وأما غيره من البلاغيين أو قل كثير منهم وتطرقوا إليه ولكن بإيجاز .

ويقول أحمد الهاشمي : " وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء هو " ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به ، فطلب الفعل في (أفعل) وطلب الكف في (لا تفعل) وطلب المحبوب في (التمني) وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الإقبال في (النداء) كل ذلك ما حصل إلاّ بنفس الصيغ المتلفظ بها " [٢] .

وليس هناك أية صلة بين المعاني اللغوية للفظة الإنشاء والمعنى الاصطلاحي ، قال الدكتور أحمد مطلوب : " أنشأ الله الخلق ابتدأ خلقهم ، والإنشاء هو الابتداء أو الخلق أو الابتداع وليس بين هذه المعاني وما ذهب إليه البلاغيون صلة لأن الإنشاء عندهم : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه وهذا ما ذكره القُدماء ، فقال الشريف الجرجاني : " الإنشاء قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه " ، واعتمدوا على هذا المعنى حينما فصلوا بين الخبر والإنشاء ، فقال القزويني : وجه الحصر أن الكلام إمّا خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج . أما الأول هو الخبر،والثاني هو الإنشاء"[٣].

---

(١) الإيضاح ، للخطيب القزويني ١ / ١٣٠ .

(٢) جواهر البلاغة / ٧٥ .

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . أحمد مطلوب ١ / ٣٣٢ .

فالخبر ما احتمل الصدق والكذب ، والإنشاء ما لا يحتمل صـــدقاً ولا كذباً ، فهو يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم به فحينما نقول للطالب مـــثلاً : " اقرأ موضوع التشبيه " فإن تحقق هذا الشيء يتوقف على تلفظنا به [١] .

"الإنشاء قسمان : طلبى وغير طلبى[٢].

الإنشاء الطلبي :

وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المـــتكلم وقت الطلب ، أو هو ما يستلزم مطلوباً لـــيس حاصـــلاً وقـــت الطلـــب [٣] ، وأنواعه هي :

الأمـــر : وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الإســـتعلاء والإلزام ، ويكون بصيغ مختلفة [٤] ، وهي :

أ ــ بفعل الأمر ، مثل قولـــه تعالـــى : ﴿ وَاصْنَـــعْ الْفُلْـــكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٥] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ خُذوا حِذرَكُم ﴾ [٦] .

ب ــ بالمضارع المجـــزوم بـــلام الأمـــر ، كقولـــــه تعـــالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [٧] .

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ د . فضل حسن عباس / ٦١ .

(٢) الأساليب الإنشائية عبدالسلام هارون ص١٣.

(٣) جواهر البلاغة / ٧٦ .

(٤) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ / ٨١ .

(٥) سورة هود ، الآية : ٣٧ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٧١ .

(٧) سورة الطلاق ، الآية : ٧ .

ج ــ باسم فعل الأمر ، مثل قوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (١) .

د ــ وبالمصدر النائب عن فعل الأمر : مثل قوله تعالى : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢)

وقد تخرج صيغ الأمر من معناها الأصلي إلى معان بلاغية تستفاد من سياق الكلام وبقرائن تدل عليها كخروجها إلى الدعاء والإرشاد والتهديد والإباحة وغيرها كثير (٣) .

النهي : وهو طلب الكف عن فعل شيء على وجه الاستعلاء والإلزام ، وليس له إلا صيغة واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية (٤) ، كقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (٥) ، وتخرج كذلك كالأمر إلى معان بلاغية تستنتج من سياق الكلام والقرائن الدالة عليها كالدعاء والتمني والتهديد والالتماس وغيرها (٦).

الاستفهام : وهو طلب فهم شيء يكون المستفهم جاهلاً به قبل الاستفهام بإحدى أدوات الاستفهام ، وهي حرفان وهما : الهمزة وهل وأسماء وهي : (من ، وما ، وكم ، وأين ، ومتى ، وأئ ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية / ٨٣ .
(٣) البلاغة الاصطلاحية د . عبدة عبد العزيز قلقيلة / ١٥٣ .
(٤) الأساليب الإنشائية ، لعبد السلام هارون / ١٤ ــ ١٥ .
(٥) سورة الاعراف ، الآية : ٥٦ .
(٦) علوم البلاغة / ٧١ .

وكيف ، وأيّان) [١] ، ومن الاستفهام قوله تعالى : ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّين ﴾ [٢] ، و ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [٣] ، وكذلك تخرج أدوات الاستفهام عن أصل وضعها ، فيستفهم بها عن الشيء ، مع العلم به لمعان أخرى تستفاد من سياق الحديث ودلالة المعنى وبوجود قرائن تصرفها عن إرادة الاستفهام الحقيقي ، ومن هذه الأغراض : التعجب والنهي والوعيد والاستبطاء وغيرها [٤] .

التمني : هو طلب حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك طمع وترقب في حصوله [٥] ، وأما أدواته فهي : ليت وهي أصلية ، وثلاثة نائبة عنها وهي : هل ، لو ، ولعل ، إذا كان المرجو بعيداً ميؤساً من حصوله [٦] ، كقوله تعالى : ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [٧] .

النداء : وهو طلب إقبال المخاطب أو هو دعوة مخاطب بحرف نائب مناب فعل : كأدعو أو أنادي وأدواته وهي : (الهمزة وأي) للقريب و (يا ، وآي ، آ ، وأيا ، وهيا ، ووا) مثل قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ [٨] والنداء كذلك كبقية أنواع الإنشاء الطلبي تخرج الفاظه إلى معان بلاغية أخرى تفهم من سياق الحديث والقرائن التي

---

(١) علم المعاني لقصي سالم علوان : ٩٦ .
(٢) سورة الذاريات ، الآية : ١٢ .
(٣) سورة الرحمن ، الآية : ٦٠ .
(٤) ينظر علوم البلاغة / ٦٦ .
(٥) البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ / ١٢٢ .
(٦) علوم البلاغة / ٦١ .
(٧) سورة يس ، الآية : ٢٦ .
(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

تدل على ذلك لخروج ، ومنها خروجها إلى التحسر والتوجع وإلى التعجب وإلى الندبة وإلى الاستغاثة وغيرها [١] .

أما عن قيمته : فقد اعتنى به البلاغيون لما فيه من تفنن في القول لخروجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام"[٢] .

وكذلك ما قاله أحمد الهاشمي : " واعلم أن الإنشاء غير الطلبي لا تبحث فيه علماء البلاغة لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء ، وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي) لما يمتاز به من لطائف بلاغية " [٣] ، ومثل هذا القول يقول به الأستاذ احمد مصطفى المراغي : " والذي يهتم البليغ بالبحث عنه هو القسم الأول (الإنشاء الطلبي) لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني (الإنشاء غير الطلبي) ولأن كثيراً من الإنشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت إلى الإنشاء " [٤] .

أما الإنشاء الغير طلبى : فهو لا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وأنواعه هى (المدح والذم بنعم وبئس – التعجب – القسم – الرجاء – الشرط) ، ولذلك سنضرب عنه صفحا لأنه ليس محل الدراسة التى معنا.

---

(١) علم المعاني د . عبد العزيز عتيق / ١٢٩ .
(٢) البلاغة العربية د . أحمد مطلوب / ٨٧ .
(٣) جواهر البلاغة / ٧٦ .
(٤) علوم البلاغة / ٦٠ .

ومن هنا كان حريا بنا أن نهتم بالإنشاء الطلبى وندرسه على ما ينبغي من دراسات عميقة بليغة ، ليضاف من خلاله إلى بلاغة لغتنا بما فيها من دقائق المدلولات وأسرار الألفاظ .

هذا عن الإنشاء الطلبى مفهوما وقيمة بلاغية من الوجهة التنظيرية ، وسيعهد إلى المباحث التطبيقية مهمة استجلاء مناحى جمالية الإنشاء الطلبى فى هذه القصيدة ، وهى قيد التحقق والظهور فى نسيج النص، وذلك بعد القراءة المتأنية والمعايشة الفكرية لها ، وهذا ما ستسفر عنه الصفحات التالية "إن شاء الله رب العالمين".

(أ)

أسلوب الأمـــر

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام.

أو هو طلب الفعل من العالى إلى الدانى، فـــ "ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه فى الواقع أم لا[١].

وللأمر أربع صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى فى طلب أى فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء والإلزام وهى:

أ – فعل الأمر: وهو أكثر الصيغ شيوعاً فى العربية، ويكون ثلاثياً مجرداً أو ثلاثياً مزيدا بحرف أوحرفين،قال تعالى:"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"[٢].

ب- المضارع المقرون بلام الأمر: نحو قوله تعالى :"فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ"[٣].

جـــ- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: "عليكم أنفسكم"[٤] بمعنى: الزموا.

د – المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: "وبالوالدين إحساناً"[٥] بمعنى: أحسنوا.

---

(١) علم المعانى د.عبدالعزيز عتيق ص٨١ .

(٢) سورة النور:آية ٥٦ .

(٣) الحج :آية ١٥.

(٤) المائدة : آية ١٠٧.

(٥) الإسراء : آية ٢٣.

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقى وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، للدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء، والالتماس، والتمنى، والنصح والإرشاد، والتخيير، والإباحة والتعجيز والتهديد، والتسوية، والإهانة والتحقير، والتعجب، والتحسر، والندب، والتسليم، والوجوب، والخبر[١].

وفى قصيدة لقيط نرى أن استخدام أسلوب الأمر جاء فى قوله:

٩- أبلغ إيادا وخلل فى سراتهم"[٢] إنى أرى الرأى إن لم أعصى قد نصعا
٢٥-فاشفوا غليلى برأى منكم حصد يصبح فؤادى له ريان قد نقعا
٢٨-فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا
٣٠-صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم وجددوا للقسى النبل والشرعا
٣١-أذكوا العيون وراء السرح واحترسوا حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
٣٢-واشروا تلادكم فى حرز أنفسكم وحرز أهلكم لا تهلكوا هلعا

يعتبرالبيت الأول بداية رسالة التحذير والإنذار لقومه ، حيث طلب الشاعر فى البيت الذى قبله:

بل أيها الراكب المزجى مطيته إلى الجزيرة مرتادا ومنتجعا

من المتجهين إلى جزيرة العراق أن يبلغوا قومه برأى منه واضح ناصع، فيه فائدة لهم إذا لم يعصوه.

---

(١)علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص ٨٣ : ٩٠.

(٢) سراتهم : سراة جمع سرى وهو الرفيع الشريف، يقصد سادتهم وأصحاب الشأن فيهم.

فى هذا البيت نرى أن الشاعر قد استخدم أمرين متتالين: (أبلغ إيادا ، وخلل فى سراتهم) ،ولما كان الشاعر يبعث برسالة الإنذار والتحذير لقومه ، ذ يستوجب عليهم أن يعدوا العدة ، ويعدوا أنفسهم قبل أن يغزوهم كسرى، فالأمر على سبيل الوجوب والإلزام[١] إذ يستوجب عليهم الاستعداد لملاقاة العدو الغاشم .

وفى استخدام الشاعر للأمرين (أبلغ ، وخلل) دلالة على أهمية رسالته وما تحويه من نفع ومصلحة لهم، ولذلك فقد صرح الشاعر أن تصل هذه الرسالة إلى كل إنسان على مستوى القبيلة كلها بقوله: "أبلغ إيادا" وهو أمر صريح بالتبليغ ، ثم ليكن أولوا الأمر والنهى مخصصين بالإبلاغ: "وخلل فى سراتهم".

وفى الأمر هنا تخصيص بالإبلاغ لسادة القوم وأهل الرأى فيهم، فلهم تنقاد أفراد القبيلة كلها، فقد اتضح الموقف وظهر العدو على حقيقته، ورأيه الذى بعث به إليهم ناصع وواضح ، ويرجوا ألا يخالفوه.

ثم إن الشاعر لم يكتف بالأمر فحسب وإنما جعل هناك رباطاً وثيقاً بين الأمر بالتبليغ وبين أن رأيه هو الصائب بقوله: "إنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا"، فتصدير الجملة بـــ (إن)، والجمع بين الفعل (أرى) ومصدره (الرأى) وتأكيده بحرف التحقيق (قد) فيه دلالة على أنه لابد من الانصياع لأوامره وعدم عصيانه، إذ فيه مصلحتهم ونفعهم من كل مضرة وسوء.

ويأتى البيت الخامس والعشرون مشتملاً على الأمر الصريح فى قوله:

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق : ص٩٠.

٢٥-فاشفوا غليلى برأى منكم حصد يصبح فؤادى له ريان قد نقعا

هذا البيت مرتبط بما قبله أشد الارتباط وهو قوله:

٢٤-مالى أراكم نياما فى بلهنية وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

إذ عندما استفهم الشاعر استفهاماً تعجبياً من أمر قومه وغفلتهم عما هم فيه من غفلة، والعدو قادم لا محالة ، جاء بهذا البيت مصرحاً فيه بالأمر الصريح فى قوله: "فاشفوا غليلى" والغليل هو بمعنى حرقة الحزن، وهى فى الأصل بمعنى : العطش الشديد.

فالأمر (فاشفوا) جاء هنا للحث والتحريض[١] على توحيد الرأى لصد الأعداء حتى يذهب حزنه الذى يستشعره من أجلهم، وكأنه بهذا الأمر التحريضى بشفاء غليله سوف يستريح نفسياً لو وضعوا فى اعتبارهم أن العدو لابد من صده بأى حال من الأحوال، وهذا سوف يُذهب حزنه وهمه كى يطمئن قلبه.

كما أن الشاعر استطاع بحسه المرهف أن يجمع ويناسب بين ألفاظ جاءت لتجعل هناك ملائمة وموائمة بين ألفاظ البيت الواحد ،وهى قوله (ريان – نقعا) إذ هما كناية عن ذهاب الحزن واطمئنان القلب، فهنا تلاؤم وتناسب بين قوله (غليلى) فى أصل معناه وهو العطش الشديد، وبين (ريان ، ونقعا).

من حيث معنى الارتواء والراحة النفسية التى يحس بها الشاعر تجاه قومه لو تصدوا لعدوهم بأن يكونوا على قلب رجل واحد.

ولتأكيد هذه المعانى يأتى لقيط بعدة أوامر متتالية معطوفة على بعضها فى قوله:

---

(١)علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق : ص٩١.

٢٩-فاقنـــوا جيـــادكم واحموا ذماركم واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا
٣٠-صـــونوا جيادكم واجلوا سيوفكم وجـــددوا للقسى النيـــل والشـــرعا
٣١-أذكوا العيون وراء السرح واحترسوا حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
٣٢-وأشروا تلادكم فى حرز أنفسكم وحـــرز أهلكـــم لا تهلكوا هـــلعـــا

فهذه الأبيات تحتوى على حزمه من الأفعال الطلبية (الأمر) ، تمثل فى مجملها حث الشاعر وتحريضه لقومه على أن يأخذوا بالأسباب التى تؤدى إلى النصر على الأعداء ، فالشاعر بعد أن سجل على قومه غفلتهم فى الأبيات التى سبقت هذه الحزمة الطلبية، وهى قوله:

٢٠-وأنتم تحرثون الأرض عـــن سفه فـــى كل معتمـــل تبغـــون مزدرعاً
٢١-وتلقحـــون حيـــال الشـــول آرنة وتنتجـــون بـــدار القلعـــة الـــربعا
٢٢-وتلبســـون ثيـــاب الأمن ضاحية لا تفزعون وهـــذا الليث قـــد جمعا
٢٣-وقـــد أظلكم مـــن شـــطر ثغركم هـــول لـــه ظلـــم تغشـــا كـــم قطعا
٢٤-مالى أراكـــم نيـــامـــا فى بلهنية وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

أخذ يستحثهم لكن ينهضوا من غفلتهم، مبينا لهم السبل التى تؤدى إلى ذلك، ومنها أن يلازموا خيولهم بالتدريب عليها ، وأن يبعدوا عن قلوبهم الخوف والجزع، وأن يكونوا يدا واحدة فى الشدائد ، وأن يحفظوا خيولهم ويعدوها لتخوض الحرب بكفاءة عالية، وأن يصقلوا السيوف ويجددوا القسى بنبالها وأوتارها ، وأن تكون عيونهم دائمة التيقظ والمراقبة للعدومع استعدادهم للتضحية فى سبيل نصرهم ، فإن لم يكتب لهم نصر بعد اتخاذهم هذه الوسائل فقد قدموا عذرا لأنفسهم، ونحوا اللوم عنهم.

فلما كانت هذه الأبيات تشتمل على الأسلوب الطلبى المتمثل فى الأمر فى قوله: (فاقنوا، واحموا، واستشعروا، وصونوا، واجلوا، وجددوا، واذكوا،

واحترسوا، واشروا) وهى تمثل فى مجملها[١] "حث وتحريض" الشاعر قومه على القتال والأخذ بالأسباب والوسائل المؤدية للنصر على الأعداء، فجاء الأمر صريحاً وواضحاً لأنه الوسيلة الملائمة التى يصل عن طريقها إلى ما يريد أن يحث به أو يحرض عليه.

كما أن أسلوب الأمر فى الأفعال السابق ذكرها شبيهة بالأوامر العسكرية التى تصدر للجنود لكى يعدوا أنفسهم لخوص غمرات القتال، ولذلك نلاحظ فيها قصر الجمل وعدم طولها، حتى يكون سامعوها أوعى لها وأكثر حفظاً.

ولما كان الأسلوب الطلبى قد أفاد الحث والتحريض ، فهو يستلزم الوجوب والتسليم[٢] ، إذ يستلزم ويجب على قومه أن يفيقوا من غفلتهم، ويسلموا أمرهم لابن عشيرتهم، وينصاعوا لأوامره من غير تهاون ولا تقصير.

فالشاعر قد استرسل فى الأوامر الصريحة عندما حثّ قومه على الحرب والقتال، كما فى قوله:

"فاقنوا جيادتكم" أمر صريح وواضح فى التدرب على الجياد تدرباً محكماً وسليما، وفيه استنفار للهمم وحث وتحريض على القتال ، لأن العربى معروف عنه حب الخيل والتفانى فى خدمتها، كما يعتبرها أداة ووسيلة للدفاع عن الوطن وحماية العِرْض، وهى أيضاً عدتهم فى الحياة وذخيرتهم فى الشدة فلذلك بدأ بها الشاعر أوامره.

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص ٩٠.

(٢) نفسه ص ٩٠.

وقوله: (واحموا ذماركم)[١] أمر ثان واضح وصريح بحماية العشيرة والوطن ، وهو أيضاً للحث والتحريض، والإلهاب والتهييج بعد التهاون فى ذلك الأمر.

وبعد أن عرف الشاعر قومه وسيلتين من وسائل العتاد فى الحرب وهى (تدريب الخيل ، وحماية الذمار) لجأ إلى معالجة الحالة النفسية فى الحرب بقوله: (واستشعروا الصبر) أتبعه بمضاده وهو قوله: (لاتستشعروا الجزعا) مما يدل على مدى التطابق والجمع بين الشىء وضده ، فهو يرد أن يبلغهم أن يوطنوا أنفسهم على الصبر والصمود ويجعلوه شعارا لهم ولباسا ،حتى لايعرفوا للخوف واليأس والجزع طريقاً.

ونلاحظ أن الشاعر هنا قد أحدث وفاقاً بين الأسلوب الطلبى (الأمر) ونظيره النهى فى قوله: (لا تستشعروا الجزعا) عن طريق التكرار لمشتقات المادة الواحدة فى بيت واحد.

فالتكرار" فضلاً عن كونه خصيصة أساسية فى بنية النص الشعرى، فإن له دوراً أولياً على مستوى الصيغة والتركيب"[٢].

والأمرفى قوله:

٢٩- صونوا جيادكم واجلو سيوفكم وجددوا للقسى النبل والشرعا

إلحاح من الشاعر بمدى أهمية الخيل وصيانتها والمحافظة عليها، لأنها عتاد العربى، وكذلك الاهتمام بعدته من صقل السيوف، وتجديد النبال وأوتار القس ،كل ذلك عن طريق العطف لهذ الأساليب الطلبية المتمثلة فى

---

(١) الذمار: ما يلزم الإنسان حفظه من أهل وعشيرة.

(٢) البنيات الأسلوبية فى الشعر العربى الحديث د/ مصطفى السعدنى، ص١٤٧.

أفعال الأمر (صونوا ، اجلوا ، جددوا) لكونها مرتبطة ببعضها كعدة للحرب والقتال.

أمر رابع فيه حث وتحريض على القتال بل ووجوب وإلزام لقومه أن يأخذوا بالأسباب كما سبق أن بينا آنفاً ولعله هنا يعاود الكرة فى التنبيه على أهمية الخيل ففى الحرب بعدما ذكرها سابقاً فى قوله (صونوا جيادتكم).

وسيلة أخرى من وسائل إعداد قومه للحرب والتهيؤ لها وهى إرسال العيون والجواسيس للاستطلاع فى قوله :

٣٠- واذكوا لعيون وراء السرح واحترسوا حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا

حيث جاء الأمر فى قوله (واذكوا العيون) أمر صريح وواضح بالوجوب والإلزام بإرسال الجواسيس والطلائع ، كما أن الكناية فى قوله:(اذكوا) ساعدت على مؤازرة المعنى وتوكيده ، إذ معناها فى الأصل: (أوقدوا)، وأراد الإكثار من إرسال العيون والجواسيس للاستطلاع ومعرفة قدرة وحجم العدو، إذ إن الكناية من شأنها أن تأتى بالمعنى بالدليل والبرهان، كما أنها تعطى إيحاء بالاستمرار والمراقبة المستمرة للعدو،وللإمعان فى الحيطة والحذر عطف عليه قوله:(واحترسوا) والأمر هنا وارد على سبيل النصح والإرشاد[١].

ثم علق الأمر فى قوله :(اذكوا ، واحترسوا) بقوله: (حتى ترى الخيل من تعدائها رجعاً) مما يفيد بأن كلا منهما أى إرسال العيون، وأخذ الحيطة والحذر، مدعاة للحرب ، ولما لهذه الخيل من الأهمية والغلبة فى أمور الحرب وسبل النصر فيها .

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص٨٥.

بعد ذلك انتقل الشاعر إلى التذكير بمجد الآباء والأجداد فى قوله:

٣٢-واشروا تلادكم فى حرز أنفسكم وحـــرز أهلكـــم لا تهلكوا هـــلعـــا

أمر آخر بشراء التلاد (واشروا تلادكم) وهو المال القديم الموروث.

يتعانق مع سابقيه فى كونه للحث والتحضيض على القتال، كما أن فيه أيضاً استنهاض للهمم ،وإلهاب وتهييج لمشاعرهم كى يدافعوا عن وطنهم وماضيهم التليد.

لا شك أن الشاعر عندما استخدم الأسلوب الطلبى (الأمر) فى الأربعة أبيات السابقة إنما هو ينبئ عن عاطفة حريصة كل الحرص على مصلحة مَنْ يأمره ، وأن يتبدى من وراء الأمر هنا الحب المكنون فى نفس الشاعر.

لذلك رأينا موقف الحث والتحريض الذى أشاعه الشاعر بين أبيات القصيدة هو موقف يحتاج إلى أوامر صريحة ، ولذلك كان التعبير به فى هذه الأبيات بأسلوب الحقيقة البعيد عن المجاز.

ولهذا كان التعبير بالأفعال الطلبية السابقة مسندة كلها لواو الجماعة ما يدل على أنه يطلب منهم تكاتف أطراف وأفراد القبيلة كلها فى التصدى للعدو وعدم التهاون فى ذلك ، كما أن دلالة الأمر هنا دلالة وجوبية وإلزامية تتسق مع الجو العام لهذه الأبيات،فهم جديرون بالحث والاستنهاض واستنفار الهمم.

كما أن دلالة الأمر هنا أيضاً تعبر عن مدى ما يعتمل فى نفس الشاعر من حزن وحسرة مشحون بكثير من الأسى لما يعترض قومه من غزو وحرب ،وخوفاً من أن يتقاعسوا ولا يفيقوا من غفلتهم فينقض عليهم العدو فيهلكهم عن بكرة أبيهم ، ويستأصل شأفتهم فلا يترك لهم أثراً.

كما أن توالى الأفعال الطلبية بهذا النمط السريع (فاقنوا ، احموا ، استشعروا ، صونوا ، اجلوا ، جددوا ، اذكوا ، احترسوا ، اشروا) يضفى مظهراً من مظاهر الاهتمام الذى طلبه الشاعر من قومه وحث عليه حتى يفيقوا من غفلتهم أولاً ، ويستعدوا لعدوهم ثانياً، وفيه استمرارا تجديدي لعملية استنهاض الهمم ، واستنفارها وعدم الخضوع والتقاعس ثالثاً.

وفى حديث لقيط عن اختيار القائد المناسب يتخذ من أسلوب الأمر المدعم بالكناية مسلكا له فى ذلك، إذ يقول :

٤٣- قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

٤٤- وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا[١]

٤٥- لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا

٤٦- لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد شباه يفصم الضلعا

٤٧- مسهد النوم تعنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مضطلعا

٤٨- ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا[٢]

٤٩- حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا[٣]

٥٠- وليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا

٥١- كما لك بن قنان أو كصاحبه عمرو القنا يوم لاقى الحارثين معا[٤]

---

(١) كناية عن البسطة والقوة فى الجسم.

(٢)يحلب أشطر الدهر:متمرس فيه.

(٣) مريرته: عزيمته. الشزر :فتل الحبل بطريقة تجعله محكما. القحم :العجوز المسن.الضرع:الصغير السن الضعيف الهزيل.

(٤) مالك بن قنان وعمرو القنا : رجلان لهما شهرة حربية فى حسن القتال والقيادة ، ومثلهما الحارثان أيضا.

٥٢- إذ عابـــه عائب يومـــا فقـــال له دمـــث لجنبك قبـــل الليل مضطجعا

٥٣- فثاوروه فـــألفـــوه أخا علل فى الحرب لا عاجزاً نكسا ولا ورعا[١]

فى هذه الأبيات يطلب الشاعر من قومه أن يكونوا فى يقظة تامة، وفى استعداد حربى كامل وأن يبدأوا بالهجوم، فإن ذلك أفضل وسيلة للوصول إلى الأمن ودحر الخوف، وأن يكون ذلك تحت قيادة قائد توافرت له كل صفات القيادة الرشيدة التى منها الكفاءة البدنية العالية، والخبرة الواعية بالحرب، واتزان النفس فى حالتى اليسر والعسر،والاهتمام الدائم بكل ما يتعلق بأمته، والتفكير المتصل فى التعرف على أفضل الخطط الحربية التى تكفل له النصر على الأعداء، وأن تكون له حصيلة خبرات وتجارب اكتسابها فى عراكة العملى مع الحياة، وكونت له قوة وإصابة فى الرأى، وأن يكون فى أواسط العمر، متفانياً فى أداء واجبه، مخلصا كل الإخلاص لا يشغله عن أداء مهامه أى شئ.

بعد هذا السرد التوضيحى للشروط التى وضعها الشاعر للقائد المناسب، نجد أن أسلوب الآمر المرتبط بالكناية كان له حضور واضح فى هذه الأبيات، تأكيدا منه على الصورة المثلى التى يجب على قومه أن يتبعوها وأن يكونوا عليها .

ففى قوله : (قوموا قياما على أمشاط أرجلكم) جاء الأمر هنا ممزوجاً بالكناية الفائقة، فلم يكن أمراً حقيقياً وإنها كنى به عن اليقظة التامة التى لا يشوبها

---

(١)دمث لجنبك مضطجعا: أخذ الأهبة والاستعداد للأمر قبل وقوعه.ثاوروه:نازلوه. أخا علل :مدرب على الحروب. النكس:الرجل الضعيف. الورع :الجبان.

أى عفلة عن العدو، وذلك بالإعداد المستمر لملاقاته بالصورة التى وضحها لهم فى أبياته السابقة (٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢).

وفى قوله: (أمشاط أرجلكم) ليفيد منتهى اليقظة إذ إن صورة الواقف على أمشاط رجلية، صورة عجيبة وغريبة تدعوا إلى الاندهاش والاستغراب، ولذلك أبرزها الشاعر بأن الذى يقف على أمشاط رجلية لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا كان يقظاً تماماً، ثم إن الواقف على هذه الصورة يكون على أقصى امتداد قامته، فيبذل غاية ما يستطيع.

ثم لم يكتف بالأمر والكناية معاً وإنما جمع بين الفعل ومصدره (قدموا قياما) من أجل التأكيد والتحديد لصورة هذه اليقظة ،التى يطلبها الشاعر من قومه.

فالأمر وإن لم يكن على وجه الاستعلاء والإلزام فهو أمر للوجوب[١] ، إذ يستلزم ويستوجب عليهم أن يكونوا على يقظة تامة واستعداد كامل لملاقاة العدو.

تأتى الشطرة الثانية من البيت لتكمل المعنى وتقوية يقول:

"ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا"

حيث طلب من قومه البدء بالهجوم فى قوله :(ثم أفزعوا) وهوأمر صريح وواضح للعيان بالانقضاض على العدو، فإن ذلك مدعاة للنصر والغلبة، ثم اتبعه بعلة الهجوم فى قوله: (قد ينال الأمن من فزعا) وفيه دلالة على أن ذلك أفضل وسيلة للوصول إلى الأمن ودحر الخوف.

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص٩٠.

فالأمر فى قوله (قوموا ، وافزعوا) جاء للحث والوجوب لاستنهاض الهمم، ومبادرة العدو بالقتال والهجوم .

وللإقناع بهذه العلة السابقة صدر كلامه بحرف التحقيق (قد) ، مما يدل على أن أمر القيام والفزع له من الأهمية القصوى فى صالحهم وأمنهم.

ثم يدعم هذا الأمر ويقويه بقوله:

٤٤- وقـلـدوا أمـركـم لله دركـم رحب الذراع بأمر الحـرب مضطلعا

فالأمر هنا على سبيل الوجوب والإلزام ، ثم يلح فى طلبه هذا بمجىء الجملة الدعائية وهى قوله: (لله دركم) واقعة بين المفعولين (أمركم) ، و(رحب الذراع) لإثارة انتباه السامعين قبل مجىء المفعول الثانى (رحب الذراع) الذى هو موضع الاهتمام.

ناهيك عن الكناية التى أثرت المعنى فى قوله: (رحب الذراع) وأفادت المعنى مقترناً بالدليل ، إذ إن قوله (رحب الذراع) كناية عن الكفاءة البدنية العالية التى من أحد مظاهرها فراعة القامة وبسطة الجسم.

ثم نرى الشاعر بعد هذا البيت السابق يسترسل فى إيراد الكنايات المتسلسلة ، كوسيلة من وسائل التوضيح والشرح لقومه فى إيراد صفات القائد الحربى ، فيقول :

٤٥- لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عـض مكـروه بـه خشعا

٤٦- لا يطعـم النـوم إلا ريث يبعثـه هـم يكـاد شـباه يفصـم الضلعا

٤٧- مسـهد النـوم تعينـه أموركـم يـروم منها إلـى الأعـداء مطلعا

٤٨- ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكـون متبعـاً طـوراً ومتبـعـاً

٤٩- حتى استمرت على شذر مريرته مستحكم الرأى لاقحمـا ولا فـزعا

٥٠-وليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا

فهذه الأبيات وإن لم تشتمل على نوع من أنواع الإنشاء الطلبى الواضح إلا أنها جاءت فى إطار الأمر السابق (وقلدوا أمركم) ، والارتباط به على وجه الملاءمة والمواءمة الصياغية، فهى إذن ساحة من ساحات التوجيه السليم الوارد من الشاعر لقومه فى حسن سياسة الأمور وتوجيهها فى ذلك الموقف العصيب.

لذلك وجدنا الشاعر قد اتكأ على الكناية معدداً بها صفات القائد الحربى الماهر ، كوسيلة هامة فى التعبير عن المعنى بدليل وبرهان، " لأن ذكر الشئ ومعه دليله وبرهانه أوقع فى النفس ، وأعلق بالفؤاد من أن تتركه من غير برهان " (١).

فقوله:(لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ...) كناية عن ضبط النفس فى العسر واليسر، والغنى والفقر، مما يحتاج إلى أعصاب قوية لا تلين وراء المغريات فى المواقف الحاسمة لمصير المجتمعات ، وقوله: (لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه....) كناية عن استعداد تام وتيقظ ، وعدم الغفلة عن أداء الواجب. وقوله : (مسهد النوم تعنيه أموركم) كناية عن قلة النوم إلا بمقدار ما يعينه على اليقظة ، وقوله :(ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره) كناية عن الدربة والخبرة والتجربة والممارسة العقلية لشئون الحرب، والتمرس بأعمال الهجوم والدفاع، فهو كالحالب لتجارب الحياة المتقن لأمورها.

وقوله : (حتى استمرت على شذر مريرته مستحكم الرأى..) كناية عن أن عنده صقل ونقاء فى الجوهر فى مجال الحرب والقتال، إذ إنه لا يصقل معدن الإنسان، ولا ينقى جوهره إلا ما يمر به من تجارب واقعية يأخذ منها

---

(١) الكناية د. حمزة الدمرداش زغلول صـ٢٤.ذ

ما يكون عدته، ويستفيد منه وقت الحاجة. وقوله :(وليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا) كناية عن التفرغ التام لمهام القيادة الحربية، فكل غرض شخصى مهما كان محبباً إليه من (مال وولد) فأمر القيادة مقدم عليه.

إن الشاعر فى إكثاره لهذه الكنايات المتسلسلة ، والتى وظفها متداخلة مع الأمر الطلبى الذى سبق فى قوله: (وقلدوا أمركم) أعطانا أسساً قوية تنبئ عن مدى شاعريته فى مجال الشعر والشعراء بل فى مجال الحرب والقتال، وكأنه محارب محنك، له خبرة طويلة فى مهام القيادة الحربية.

إن الشاعر لقيط وظف كل الكنايات متسقة مع نفثاته العاطفية والوجدانية حتى يبث كل مشاعره وأحاسيسه الجياشة تجاه مصلحة قومه، فكان الشاعر موفقاً فى ذلك تمام التوفيق .

وفى قوله :

٥١- كمـــا لك بن قنـــان أو كصـــاحبه عمـــر والقنا يوم لاقى الحارثين معا

٥٢- إذ عابـــه عائب يومـــا فقـــال له دمـــث لجنبك قبـــل الليل مضطجعا

٥٣- فثـــــاوروه فـــألفـــوه أخـــاعلل فى الحرب لا عاجزاً نكسا ولا ورعا

ضرب للمثل بقائدين عظيمين لهما شهرة حربية عظيمة وشجاعة وإقدام يعرفها قومه، وهما (مالك بن قنان، وعمرو القنا).

هذه الأبيات الثلاثة السابقة لما كانت مرتبطة بما قبلها أشد الارتباط ، ساقها لما فيها من انتقال بين مراحل شتى من مراحل الإقناع والطلب ليحدث الأثر المطلوب منه.

هذا التشكيل الذى انتقاه الشاعر لقومه فى رسالته التحذيرية من خلال اختياره للأسلوب الطلبى (الأمر) أولاً، وحسن توظيفه للكناية التى ساقها لتدعيم المعنى بها ثانيا، ثم ضربه المثل فى خضم الحديث عن صفات القائد الذى يقلدونه عليهم ثالثا، يعتبر ركيزة من ركائز القيادة الحربية السليمة لدى الشاعر، و دفعاً وزخماً لقومه فى الثبات والصمود واختيار القائد المناسب.

هذا التشكيل الذى أتى به الشاعر عبر أبياته السابقة ، إنما أحدث عملية تشكيل تكوينى فى الحث والتحريض ، وخوض غمرات القتال بأكثر من وسيلة تدعم الموقف وتقويه.

وهذا الرمز الذى أشار به الشاعر إلى مالك بن قنان وعمرو القنا "خلقه بوحى من تجربته الانفعالية، وانتسب إليه، وارتبط بظروفه النفسية، وهو على وفق هذا التوصيف يبنى السياق"(١).

فشخصية (مالك بن قنان ، وعمرو القنا) التى بثها الشاعر من خلال أبياته، إنما هى رمز فنى وإنسانى ذو وظيفة أساسية فى البناء الشعرى، استطاع الشاعر أن يوردها لقومه على هذا النحو بمثابة بعث روح العزيمة والثبات والاستعداد الذى افتقده فى قومه وقبيلته، التى فقدت قوتها وقوميتها عندما انشغلت بأمور حياتية لا تجعل منها قبيلة قوية يخشاها الأعداء.

ومن هنا كان لزاماً على الشاعر أن يجعل كل فرد فى قبيلته على مثال هذين القائدين العظيمين من شجاعة وجرأة واجتياز عملى للحرب والقتال،

---

(١) الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ص١٥٥.

مما يؤدى فى النهاية إلى حسن استعدد وأصالة واقتدار، ومن ثم نصر على الأعداء.

ولا شك أن الكناية فى الأبيات السابقة قد أدت مؤداها من التعليل القوى المتين، مما يدعو إلى الاستجابة لأمر الآمر، إذ راعى الشاعر مع الأسلوب الطلبى الأسلوب الإقناعى ليكون بمثابة التهيئة لأمر القتال وأخذ العظة والعبرة.

ويأتى البيت قبل الأخير مشتملاً على الأمر فى قوله:

٥٤-لقد بذلت لكم نصحـــى بلا دخل فاستيقظوا إن خيـــر العلـــم ما نفعا

حيث أوجز فيها عاطفته نحو قومه ، والتى تجعله يحرص عليهم بقوله: (لقد بذلت لكن نصحى بلا دخل) حيث أكدَّ إسداء النصح (باللام ، وقد) كما أنه أظهر أنه لم يدخر وسعا باستخدام الفعل (بذلت) ، وفى البذل معنى الجود والسخاء ولا يصنع هذا إلا وحب من يبذل لهم يملأ قلبه، ومن أجل هذا وصف النصيحة بأنها (بلا دخل) أى قدمها خالصة من كل شائبة، ولم يخف عنهم شيئاً، فقد قدم له كل ما فى وسعه لهم.

بعد ذلك جاء أسلوب الأمر فى الشطرة الثانية من البيت (فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا)، وهو أمر للنصح والإرشاد[١]، إذ جاء هذا البيت كإيجاز لمضمون الهدف من نصيحته، وذلك لأن غفلة قومه عن أعدائهم كانت أكثر ما يحزنه، فإذا زالت هذه الغفلة أصبحوا قريبين من النصر.

هذا البيت يعتبر نهاية المطاف بالنسبة لرسالته التحذيرية ولذلك عبر بالأسلوب الطلبى (الأمر)هنا (فاستيقظوا) ليكون بمثابة التنفيس عما هو

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص ٨٥.

مكنون فى صدره ، مع حرصه على إيقاظهم من غفلتهم حفاظاً على مجدهم ومجد أجدادهم.

وإسناد الفعل (استيقظوا) لواو الجماعة إنما يهدف الشاعر من وراءه لإلقاء المسئولية على الجميع، إذ يناشد جميع أفراد قبيلته باليقظة ولا يستثنى منهم أحدا.

(ب)

(أسلوب النهى)

"هو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وللنهى صيغة واحدة وهى المضارع المقرون بـــ (لا) الناهية الجازمة ذات الألف الممدودة ، كقوله تعالى : " ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها "[١] .

ولكن قد يحمل النهى فى طياته معان أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء، والالتماس، والنصح والإرشاد، والتوبيخ، والتمنى، والتحقير، والتيئيس، والتهديد"[٢] وغيرها مما يتطلبه المقام.

يقول لقيط فى النهى:

٢٦-ولا تكـــونوا كمن قد بات مكتنعاً إذا يقـــال لـــه أفرج غمة كنعـــا[٣]

هذا البيت قد سبقه آخر فى الأمر وهو قوله:

٢٥-فاشـــفوا غليلى برأى منكم حصد يصبح فـــؤادى له ريـــان قـــد نقعا

وهو معطوف عليه بالواو إذ عطفه الشاعر على الأمر فى قوله: (فاشغوا) ليبين أن الأمر جد خطير، وحتى تهدأ نفسه وتستريح ، عليهم أن يتسموا بالشجاعة والإقدام ، ويبتعدوا عن الجبن والخور .

---

(١) سور ة الأعراف : آية ٥٦.

(٢) من بلاغة النظم العربى دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى د. عبدالعزيز عرفة صـــ٨٧-٨٨.

(٣) مكتنعا: منقبضا ومنكمشا.غمة: كرب . كنعا:خضع ولان وجبن .

والنهى فى قوله :(ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعاً) جاء لمقام التحقير والازدراء، وسر بلاغة التعبير بالنهى مقام التحقير ،" لما فيه من التحقير وعدم الاعتداد بالمخاطب مالايحيط به الوصف "[١]، إذ يطلب الشاعر من قومه ألا يتقاعسوا ، ولا يتأخروا كالجبناء الذين لا يجيبون استغاثة ، وهى صورة حسية موحية بالتحقير والازدراء لمن لم يأخذ الاعتبار بنصائحه وتحذيراته، حتى لا يكون على هيئة الجبان الذى يتباطأ عن دفع الملمات، وينكمش على مصالحه الشخصية ، ولا يلبى نداء الوطن والقبيلة القومى.

ويقول أيضا :

٢٩- ولا يــدع بعضكــم بعضا لنائبــة كما تركتم بأعلى بيشــة النخعا[٢]

حث الشاعر قومه فى هذا البيت بأن يكونوا يداً واحدة فى الشدائد، وضرب لهم مثلاً (النخعا) وهو لقب رجل اسمه جسر بن عمرو ، تعرض للهزيمة بعد أن تخلى عنه قومه فى إحدى المعارك، والإتيان بهذا المثل يشكل لونا من ألوان التثبيت فى أرض المعركة، ونوع من أنواع الحماسة التى يبثها الشاعر فى نفوس قومه وذويهم.

ولذلك جاء النهى فى قوله: (ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة) واضحا وصريحا للحث والتحريض والإثارة ، إذ هو الوسيلة الملائمة التى يصل عن طريقها إلى ما يريد أن يحث به أو يحرض عليه.

وكون الشاعر يحث على القتال بأسلوب النهى (ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة) إنما هو أسلوب من أساليب الإقناع والدليل المنطقى ،حتى يقدم قومه

---

(١) من بلاغة النظم العربى دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى د.عبدالعزيز عرفة صـــ٩١.

(٢) بيشة: قرية جنوب الجيرة العربية.

على الحرب والإعداد لها ، وهم أكثر اقتناعاً بشرعيتها، فيثبتوا فى ميدان القتال ولا يفروا هاربين ، كما أن فيه" إظهارا لعاطفة الشاعر تجاه قومه"[١] .

فجاء النهى هنا كأسلوب من أساليب الأوامر العسكرية ، التى تصدر للجنود كى يعدوا أنفسهم لخوص غمرات القتال.

فهو حث وتحريض واستنفار واستثارة لهمة قومه، كى يكونوا يداً واحدة فى الشدائد.

ولأن الموقف موقف حث وتحريض على القتال، يحتال الشاعر إلى قومه كى ينفذ إلى قلوبهم ، فيذكرهم بماضيهم التليد، ومجدهم الغابر،إذ يقول:

٣٢- واشـــروا تلادكم فى حرز أنفسكم وحـــرز أهـــلكم لا تهلكـــوا هلعا[٢]

٣٤- لا تلهكـــم إبـــل ليســـت لكم إبل إن العـــدو بعظـــم منكـــم قـــرعا[٣]

٣٥- لا تثمـــروا المـــال للأعداء إنهم إن يظهـــروا يحتـــووكم والتلاد معا

فالشاعر يطلب منهم أن ينفقوا الغالى من الأموال فى سبيل الحفاظ على هذا المجد، إذ يخشى أن يتبدد أو يضيع فتحل عليهم لعنة الأقوام، ويصبحوا سبة فى جبين الدهر، ولذا جاء بالنهى فى قوله: (لا تهلكوا هلعا) لمقام النصح والإرشاد ،" لبيان رغبته فى امتثال مخاطبه لنصحه وإرشاده"[٤]

---

(١) من بلاغة النظم العربى د.عبدالعزيز عرفة صـــ٩١.

(٢) اشروا : بيعوا. التلاد:المال القديم الموروث. فى حرز أنفسكم:فى سبيل حفظها.الهلع: الجزع الشديد.

(٣) قرعا: القراع والمقارعة : الضرب بالسيوف.

(٤) من بلاغة النظم العربى د. عرفة صـــ٩٢.

أى إن حافظتم على مجد آبائكم بالدفاع عنه ، والوقوف ضد أى مهاجم فلن تهلكوا أبدا.

فهو إن كان نهى أراد به صراحة الحث والتحضيض على المدافعة عن الوطن ، فهو يحمل بين ثناياه النصح والإرشاد لقومه أن يخشوا على مجدهم من أن يضيع فى أيدى الأعداء والمغتصبين.

ثم سرعان ما لمس انصراف قومه وتماديهم فى غفلتهم عما أعدّه لهم عدوهم، فكان لزاماً عليه أن يوقظهم من غفلتهم ، ويدفعهم إلى الثورة عن طريق التحريض والإثارة، موظفاً لذلك النهى فى قوله: (لا تلهكم إبل ليست لكم إبل) وقوله :(لا تثمروا المال للأعداء) حيث أفاد النهى الصريح هنا عدم التشاغل باستثمار الأموال فى الزرع والأنعام، فنهاهم عن التلهى بتربية الإبل وتثمير الأموال ، لأن العدو أصبح على الأبواب، وإذا تغلب عليهم فإنه لن يترك لهم الأموال ،ولن تكون ملكاً لمن يبقى منهم ، وذلك لأن الأموال سوف يجرى عليها ما يجرى على أصحابها، فإن ذهبوا ذهبت ولن تعود.

ولما كان أسلوب النهى (لا تلهكم إبل، لا تثمروا المال للأعداء) من أساليب النهى المدعم بالدليل المقنع، فهو نهى صريح لليقظة[١] من الغفلة والتشاغل بحرثهم ونسلهم، فأعلن لهم صراحة أن ما يشغلون به أنفسهم ليس لهم على سبيل الحقيقة إن استمروا فى هذا التشاغل، لأن العدو سيستولى عليه لا محالة.

ثم جاءت الكناية فى قوله (إن العدو بعظم منكم قرعا) لتفيد مدى دنو واقتراب العدو منهم.

---

(١) لباب المعانى ص ٦٥.

فهى كناية سيقت لتأكيد هذا الاقتراب الشديد للعدو فى إطار التعليل للنهى الصريح فى قوله :(لا تلهكم إبل ....) بعدم التشاغل بتربية الإبل فحسب وإنما هناك ما هو أهم.

وفى قوله: (لا تثمروا المال للأعداء) جاء النهى معللا بالعلة المسببة لهذا النهى فى قوله : (إنهم إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا) فهو تعليل يدعو إلى التوقف والتفكير حول استثمار المال الذى سوف يئول للأعداء، وهو إذن تأكيد للنهى الذى قبله مدعما بالدليل والإقناع.

ويعد أن ساق لهم حجته بالدليل والإقناع ، يستخدم نفس الأسلوب فى استثارة قومه على أعراضهم ، وغيرتهم على نسائهم، متخذا من أسلوب النهى وسيلة لذلك إذ يقول:

٤٠- يـــا قـــوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا علـــى نســـائكـــم كسرى وما جمعا
٤١- يـــا قـــوم بيضتكم لا تفجعن بها إنى أخـــاف عليها الأزلم الجذعا[1]

أراد الشاعر فى هذين البيتين أن يستشير غيرة قومه على العرض ، وغريزة المحافظة عليه ، فبين لهم أن كسرى وجيشه يستبيحون نساءهم إن تغلبوا عليهم، فليكن هذا فى الحسبان، ثم يذكرهم بحماهم وواجبهم فى الزود عنه، حتى لا يفجعوا فيه إن فرطوا.

فجاء النهى فى قوله :(لا تأمنوا إن كنتم غيرا على نساءكم كسرى) الوسيلة الملائمة للحث والتحريض على ذلك ، لأن الشاعر يعلم أن الحفاظ

---

(١) غيرا: جمع غيور من الغيرة وهى المحافظة على العرض. بيضة القوم :جماعتهم. الفجيعة :المصيبة .الأزلم الجذع: الظبى التى لايسقط لها سن ، فاستعير المعنى للدهر لأنه جذع أبدا لا يتغير ، أى هو فتى لا يلحقه هرم.

على العرض والغيرة عليه، أمر يشغل بال العربى، ويضحى من أجله مهما كلفه من ثمن.

ولذلك فإنه لجأ إلى استثارة قومه وتحريضهم وإقناعهم عن طريق هذا الأسلوب، وكأنه بذلك يسجل العار عليهم، لأن تفريطهم فى شأن الدفاع عن أنفسهم، وفى الإعداد السريع لملاقاة عدوهم، هو تفريط فى أعراضهم، وليس هذا أبدا من خلق العربى.

ثم يضيف إلى النهى القائم على الحث والتحضيض صفة أخرى وهى التخويف (١) ، فى قوله: (ياقوم بيضتكم لا تفجعن بها) وهذا يعتبر من الأسلوب الطلبى الإقناعى ، فهو يحذرهم من أن يفجعوا بفقد ديارهم، ويخوفهم مما هو مستتر فى باطن الزمن.

فأسلوب الطلب المتمثل فى النهى مع الإقناع بالدليل والعلة، يلائمه أسلوب التخويف الذى يؤكد المعنى ، فيحدث الأثر المطلوب منه وهو الانتماء القومى لقبيلته (إياد).

ولكى يؤ كد الشاعر هذا الأسلوب التخويفى أتى بما يلائمة ليحدث الأثر المطلوب منه فى قومه، وذلك من خلال الجملة التالية فى قوله :(إنى أخاف عليها الأزلم الجزعا) فيه تأكيد بالحرف (إن) والجملة الأسمية، وتعبيره عن الدهر بالكناية ،وهى أبلغ من التصريح لأنها مصحوبة بالدليل كما هو معروف فى أسلوب الكناية.

وهكذا استطاع الشاعر بحسه المرهف ، وعاطفته الحزينة، أن ينفذ إلى مشاعر قومه لتحقيق أهدافه ومراميه من تأثير الطلب فى الحث

---

(١) علم المعانى د.عبدالعزيز عتيق ص٩١ ، ٩٢.

والتحضيض، وكذلك بث الخوف والتحذير من العدو،وكذلك الإقناع بالدليل والبرهان ،وتوظيف مختلف الأساليب فى تجسيد أفكاره فى الإفصاح عن مكنوناته الوجدانية تجاه قومه خوفاً وحرصاً عليهم من أعدائهم ، من خلال (الأمر والنهى) دون أن نلمس الإيجاز الذى يخل بالمعنى المراد، أو الإطناب الذى يمجه السامع أو يستغنى عنه بغيره.

(ج)

(أسلوب الاستفهام)

الاستفهام لغة: هو طلب الفهم ، والفهم هو حسن تصور المعنى وجودة الذهن للاستنباط ، يقال فهمه فهماً: أحسن تصوره، وأفهم الأمر: سأله أن يفهمه، ويقال: استفهم من فلان عن الأمر:طلب منه أن يكشف عنه[١].

واصطلاحا:" هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة[٢] "وأدوات الاستفهام كثيرة منها (الهمزة ، وهل) أما الهمزة يطلب بها أحد أمرين:

أ – التصور: وهو إدراك المفرد، أي تعيينه، وفى هذه الحالة تأتى الهمزة متلوة بالمسئول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد (أم).

ب– التصديق: وهو إدراك النسبة، أي : تعيينها، وفى هذه الحال يمتنع ذكر المعادل.

أما (هل) يطلب بها التصديق لا غير. أي : إدراك النسبة ، وطبيعي يمتنع ذكر المعادل.

أما بقية أدوات الاستفهام وهى (مَنْ، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنّى ، وكم ، وأىّ)، يطلب بها التصور فقط، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول[٣].

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢/٧٣٠.

(٢) من بلاغة النظم العربى د.عبدالعزيز عرفة صـ ٩٣.

(٣) علم المعاني قصي سالم علوان : ٩٦ .

وموضوع الاستفهام من أهم موضوعات الإنشاء الطلبي، بل من أهم موضوعات البلاغة وأكثرها عطاء.

والذي أفاض في بحث هذا الموضوع شيخ علماء البلاغة (عبد القاهر الجرجانى) ومن قبله سيبويه، والفراء، وابن جنى ، وابن قتيبة ، والمبرد الذي أشار إلى خروج الاستفهام عن معناه ، وذكر جملة من المعاني في كتابه الكامل وأشار إلى بعضها في كتابه المقتضب.

وأشار أيضاً إلى الاستفهام الذي يكون للتقرير، والتوبيخ، والتعجب والإنكار(١).

أما عن أغراض الاستفهام التي يخرج إليها: فقد تكون نفيا، أو تعجبا، وتمنيا، أو تقريراً، أو تعظيما، أو تحقيرا، أو استبطاء ، أو استبعادا ، أو إنكارا، أو تهكما ، أو تسوية ، أو وعيدا ، أو تهويلا ، أو تشويقا ، أو أمرا أو تنبيها على ضلال، أو نهيا، أو عرضا، أو تحضيضا(٢).

وبالنظر في عينية لقيط نجد أن الاستفهام لم يأخذ حظه في الظهور ضمن أبيات القصيدة إلا في أربعة مواضع ، أولها : قوله:

٢٤-مالـــى أراكـــم نياما فى بلهنية	وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا(٣).

أراد الشاعر أن يقول: إن نذر الحرب لا حت فى الأفق، وبات أمرها محققا، ومع ذلك فقومه غافلون لاهون مشغولون بمتع الحياة، ولذلك فهو

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص ٩٩ ، ١٠١.

(٢) الكتاب لسيبويه جـــ١ ص٣٧٦، الخصائص جـــ٢ ص ٤٦٢ وما بعدها، الكامل جـــ١ ص١٠٣.

(٣) بلهنية بضم ففتح :الرخاء وسعة العيش. الشهاب: شعلة من نارساطعة .

فى عجب من أمرهم هذا، بل إنه فى حزن عميق، لا يزيله عنه إلا أن يوحدوا كلمتهم، ويجمعوا صفوفهم، ويتركوا أسلوب الجبناء الذين يهربون من أداء الواجب التماسا للتكثر من متع الحياة، وكأنهم مخلدون على ظهرها.

ونلاحظ أن الاستفهام في قوله :(مالي أراكم نياما في بلهنية) قد جاء للتعجب ، ومعبرا عن المعنى الذى أراده ، وكأنه قال: ما أشد عجبي من غفلتكم عما لاح في الأفق من الحظر.

" واستعمال الاستفهام فى مقام التعجب مجاز مرسل من استعمال اسم الملزوم فى اللازم ، وذلك لأن السؤال عن الحال ،وهو السبب فى عدم الرؤية يستلزم الجهل بذلك السبب ، والجهل بسبب عدم الرؤية يستلزم التعجب"[١] وفى التعبير بأسلوب الاستفهام مقام التعجب هنا فيه إثارة وتحريك للمخاطب.

وتكرار الشاعر لـــ(قد) مرتين فى قوله :(قد ترون شهاب الحرب قد سطعا) ليؤكد تسجيل الحقيقة التى عليها قومه من الغفلة ، وعدم الحذر.

ومما زاد في تعجبه هذا، أن أضاف التشبيه البليغ في قوله: (أراكم نياما) أي: كالنيام، وكذلك الاستعارة في قوله: (شهاب الحرب) حيث استعار الشهاب الساطع لمقدمات الحرب واستعداداتها المعروفة، كل هذا مما يزيد الأسلوب تألقا وإبداعا حيث تتجانس الصورة وتتآزر ليتشكل منها معنى قويا وأسلوبا متماسكا حتى يحقق العلة المطلوبة ، وهي أن يفيقوا من غفلتهم ويهبوا من نومهم.

ويأتى ثانى مواضع الاستفهام فى قوله:

---

(١) من بلاغة النظم العربى د.عبدالعزيز عرفة صـــ١٠٨.

٣٨-يـــا قوم إن لكم من إرث أولكم		مجـــدا قد أشفقت أن يفنى وينقطعا
٣٩-مـــاذا يرد عليكـــم عـــز أولكم		إن ضـــاع آخـــره أو ذل واتضعـــا

هذان البيتان ارتبطا بعضهما بالبعض في المعنى ، إذ أراد الشاعر أن يستثير همة قومه فذكرهم بمجد آبائهم الذي يجب أن يحافظوا عليه، وبيّن أن هذا الماضي التليد لن يغني عنهم شيئا إن فرطوا في حاضرهم الذي هو امتداد لماضيهم ، فاستثار فيهم الغيرة على الوطن وأنهم يجب أن يحافظوا عليه مهما كلفهم ذلك أرواحهم ، وليكن حرصهم على سلامة حاضرهم هدفا من أهداف حياتهم، فإن الاتكاء على سمعة الآباء فحسب أمر فيه حمق كثير.

ولذلك جاء تعبيره بالاستفهام المفيد للنفي في قوله :(ماذا يرد عليكم عز أولكم إن ضاع آخره) لاستثارة الحمية وبث روح القتال فى نفوسهم.

فهو لم ينفي عنهم الاعتماد على سمعة الآباء فحسب ، وإنما الدفاع عن الحاضر الذي هو امتداد للماضي، فالمحافظة على الحاضر تذكير بمجد الآباء والأجداد ، فلابد من الزود عنه وحمايته مهما كلفهم ذلك من ثمن، وليكن حرصهم على سلامة حاضرهم هدفا من أهداف حياتهم .

أما ثالث مواضع الاستفهام فنجده فى قوله:

٤٢-هو الجلاء الذى يمتص أصلكم		فمـــن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

بعد أن استثار الشاعر همة قومه في تذكيرهم بمجد آبائهم الذي يجب أن يحافظوا عليه، كذلك استثار فيهم الغيرة على العرض وغريزة المحافظة عليه فى الأبيات السابقة ، جاء هنا وبدأ تذكيرهم بحماهم وواجبهم فى الذود عنه حتى لا يفجعوا إن فرطوا فيه ،ثم ختمها بهذا البيت الذى هو بمثابة رسالة إنذار وتحذير واضحة ، وهي أنه لن يكون أمام عدوهم إلا شيء واحد

حين يصل إليهم ، وهو أن يجليهم عن مكانهم ولا يبقى لهم على أثر، فليت أحداً يشاركه الرأى، وليست هناك سامعين يسمعون ويعملون.

ولما كان هذا التذكير يحتاج إلى تأكيد قال: (هو الجلاء الذى يجتث أصلكم) فيه تأكيد بأسلوب القصر الذى طريقه تعريف الطرفين (هو الجلاء) بالإضافة إلى أن ضمير الشأن يعتبر وسيلة من وسائل التأكيد، لأنه يكون مفسراً بعد إبهامه موضحاً بعد غموضه، فيكون ما يعود إليه أكثر تعلقاً وثباتاً بالأذهان.

كما أن هذا القول (هو الجلاء الذى يجتث أصلكم) استخدم فيه الشاعر أسلوب التخويف والتحذير والإنذار،الذى يخوفهم مما هو مستتر فى باطن الزمن ، وينذرهم بأنه لا خيار لهم أمام عدوهم إن تراخوا غير الإجلاء والاستئصال الذى لا يبقى لهم على أثر.

ثم جاء أسلوب الاستفهام فى الشطرة الثانية فى قوله:"فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا" ليفيد التمنى ، فهو يتمنى أن يكون هناك من يشاركه الرأى ومن يستمع إليه فيعمل بما سمع، والتمنى كما نعلم يكون فى الأمر المحبوب، وهو لا يحب ذلك إلا من أجلهم لأنه يحبهم ويعنيه أمرهم.

فهو من شدة هول ما رأى وما شاهد من استعداد كسرى لملاقاة قومه ،سأل عن طريق الخلاص" فوضع الممكن مكان المستحيل، وذلك مايجعل الأسلوب حيا نابضا له إيحاءات تشبع القارئ وتثير فيه روح المتابعة والمشاركة"[١].

---

(١) من بلاغة النظم العربى د. عبدالعزيز عرفة صـــ١٣٠.

ويأتى رابع مواضع الاستفهام فى البيت الأخير الذى يختم به قصيده فى قوله:

٥٥-هــذا كتابى إليكم والنــذير لكم لمــن رأى رأيه منكــم ومن سمعا

ليصف الرسالة بأنها (إنذار لقومه) قبل أن يدهمهم الخطر، فيكون هنا بمثابة (رد العجز على الصدر) الذى ابتدأ به قصيدته بقوله:

بل أيهــا الراكب المزجى مطيته إلــى الجــزيــرة مرتــاد ومنتجعا

أبلــغ إيــادا وخــلل فى سراتهم إنــى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا

فقد صدر البيت باسم الإشارة (هذا) تعظيماً لشأن كتابه إليهم، ولذلك عرف (النذير) بأل الدالة على الكمال فى التبليغ والإنذار.

ثم جاء بالاستفهام المفيد للتمنى فى الشطرة الثانية من البيت بقوله: لمَنْ رأى رأيه منكم ومَنْ سمعا" ، إذ يتمنى أن يشاركه الرأى ومن يستمع إليه فيعمل بما سمع ، وهذا يعتبر منتهى التبليغ والإنذار .

فقد فعل كل ما فى وسعه وعليهم أن يأخذوا التدابير لذلك، ويبدو أن هذا البيت جاء كتتمة وختام لرسالة الإنذار والتحذير التى بدأها فى قصيدته التحذيرية هذه.

ويبدو أن عاطفته القوية قد أوجزها فى هذا البيت وما قبله الذى يقول فيه:

٥٤-لقد بذلت لكن نصحى بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

فالشاعر قد ختم قصيدته بهذا المقطع الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بها قبله، فهو إن كان قد أغلظ فى نصحه لهم فإن ذلك كان نابعاً من قلبه ومن حبه

لقومه، فليتهم ينتفعون بنصحه، ويعملون بها علموا، فإن خير العلم ما نفعا، فهو الناصح الغيور، وليتهم يرون رأيه ويهتمون لنصحه.

ومن خلال هذا التوظيف الرائع لأسلوب الاستفهام ، نجد أن الشاعر قد ملأ كل وجدانه قضيته قومه وأثرت فيه كل هذا التأثير، ولذلك كان له الفضل الأول فى تمكنه من السيطرة على أطراف تجربته داخل العينية، فلم تضطرب أجزاؤها ولم تتنافر جزئياتها، كما أنه كان صادقاً فى تصوير مشاعره تجاه قومه، ولذلك جاءت قدرته الشعرية والشعورية واضحة ، حيث عرضهما عرضاً طيباً فى صياغة رائعة وقوية غير مفتعلة، وواضحة لا يكتنفها الغموض والبعد.

(٤)

(أسلـــوب النـداء)

هو طلب إقبال المدعو على الداعى بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل (أدعو) لفظا، كقوله تعالى:" يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي "[١]. أو تقديرا كما فى قوله تعالى :"يوسف أعرض عن هذا.."[٢]. أى يا يوسف .

وأحرف النداء أو أدواته ثمان: الهمزة، وأى ، ويا ، وأيا ، وهيا، وآ ، وآىْ ، و(وا).

وهذه الأدوات فى الاستعمال نوعان:

(١) الهمزة ، وأى : لنداء القريب.

(٢) والأدوات الست الأخرى: لنداء البعيد[٣].

يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى تعليقه: "ودلالة النداء على الطلب دلالة التزامية لأنه بمقتضى تعريفه فى معنى (أدعوا) وهو فعل مضارع لا أمر ولكن لدعاء يتضمن طلب الإقبال فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب، وقيل : إنه مجرد تنبيه لا طلب فيه. وقيل : إن بمعنى أقبل فيدل على الطلب مطابقة لا التزاما[٤].

---

(١) سورة مريم : آية ٧.

(٢) سورة يوسف :آية ٢٩.

(٣) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص١٢٥.

(٤) بغية الإيضاح عبد المتعال الصعيدى جـ٢ ص٥٨.

ولكن قد يخرج النداء عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام ،وقرائن الأحوال.

كالإغراء " وهو الحث على لزوم الشئ " كقولك لمن أقبل يتظلم : يامظلوم تكلم .

أو يكون للتحسر كقول ابن الرومى:

يا شـــبابى! وأيـــن منـــى شـــبابى آذنتنـــــى حبـــــالـــه بانقضـــــــاب

أو يكون للزجر كقول الشاعر:

إلام يا قلب تستبقى مودتهم وقد أذاقوك ألوانا من الوصب؟
يا قلب حسيك ما قد ذقت من حرق يا قلب حسبك ما قد نلت من نقب

أو للاستغاثة نحو قولنا: يا أول القوة للضعفاء.

أو للتعجب : نحو قولنا : يا لجمال الربيع.

أو للندبة : نحو قولنا : وا كبدى! ويا ولداه!

أو للاختصاص:" وهو تخصيص حكم علق بضمير اسم صورته صورة المنادى " نحو قولنا: بعلمكم أيها الشباب يعتز للوطن وينهض[1].

وبالنظر فى عينية لقيط نجد أن النداء قد وقع فى ستة مواضع ، أولها:

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا

---

(١) من بلاغة النظم العربى د. عبدالعزيز عرفة صـــ١٣٥ : ١٤٠ .
- علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص١٢٧ : ١٢٩.

هذا البيت هو بداية المقدمة الغزلية التى بدأ بها الشاعر قصيدته على عادة الشعراء القدامى، فأخذ يتحدث عن محبوبته (عمرة) ويناجى دارها، ويحيى طللها علها تجيب نداءه، فجاء النداء فى أول القصيدة (يا دار عمرة) مصحوباً بالأسى والألم والحزن المفهم على فراقها، فقد أهاجت شجونه، وأثارت همومه وأحزانه.

فالنداء فى (ديار عمرة) ليس على حقيقته وإنما قصد به إظهار حزنه ولوعته لمفارقته فتاته واحتلالها لهذا المكان، وتحسره على الأيام الخوالى التى قضاها فى حماها معززا مكرما.

ولعل حزن الشاعر على فراق محبوبته (عمرة) يتجاوب مع حزنه على قومه، فهناك نوع من الربط النفسى بين هذه المقدمة وبين مضمون الرسالة، وهى حزنه وألمه العميق على مصير قومه وتشاغلهم عن الخطر المحدق بهم، فإظهار حزنه ولوعته لمفارقته فتاته، تشبه حزنه ولوعته على قومه وخوفه عليهم من كسرى وجيشه.

وهذا يعتبر أسلوبا من أساليب إبراز المعنى وتوضيحه من خلال أسلوب النداء الذى أشاعه فى أبيات القصيدة، كما أن هذا يعتبر طريقة من طرق التعبير والأسلوبية التى يقصد بها الإقناع بالدليل المنطقى ، حيث جاء هذا البيت الأول بمثابة الإعلان عن الجو النفسى الحزين الذى قيلت فيه القصيدة.

كما أن تقديم الجار والمجرور فى قوله : (من محتلها) للإسراع بذكر السبب الذى أهاج أحزانه، ولكى يظهر مدى حزنه ولوعته على فراقه محبوبته جمع الشاعر بين ألفاظ متناسبة ومتلائمة وصريحة وهى قوله: (الهم والأحزان ، والوجعا) لأن فيه إيماءً بمقدار ما تركته هذه الفتاة فى

نفسه من أثر جعله يتعلق بها تعلقاً شديداً ، وكأنه لا يستطيع أن يفارقها، بل يجد فى فراقها له لوعة وحزن شديدين.

يأتى الموضع الثانى للنداء فى قوله:

بل أيهـــا الراكب المزجى مطيته إلـــى الجـــزيـــرة مرتـــاد ومنتجعا

هذا البيت يعتبر بدء إعلام الشاعر قومه بالخطر حيث أضرب صفحا عن حديث الذكريات، حديث الحب والوله الذى جعله مقدمة لقصيدته ، ليأخذ فى غرضه الأصلى مستخدما حرف الإضراب (بل) إشعارا بالتخلص، فيناجى من يتوجه إلى قومه طالبا رفدهم ، منتجعاً فضلهم، مجداً فى سوق راحلته ليبلغهم رسالة إنذار وتحذير ، ليعدو العدة ويتخذوا الأهبة قبل أن يغزوهم كسرى.

فالنداء هنا أصاب موضعه فى قوله :(بل أيها الراكب المزجى مطيته) حيث جاء على حقيقته وهو طلب إقبال المدعو على الداعى، وذلك تنبيها على عظم الأمر المدعو إليه ، وعلو شأنه [١]، حيث طلب الشاعر من المتهجين إلى جزيرة العراق دون تخصيص لأحد الحاملين لرسالته تأكيداً لأهميتها، أن يبلغوا قومه برأى منه واضح ناصع فيه فائدة لهم، إذا لم يعصوه .

ثم يأتى النداء فى الموضع الثالث فى قوله:

يا لهف نفسى إن كـــانت أموركم شـــتى وأحـــكم أمـــر الناس فاجتمعا

ليعلن عن تحسر الشاعر على قومه إن لم يجتمعوا على قلب رجل واحد ، بينما عدوهم يتربص بهم فى وحدة تجمعه وتوحد صفوفه.

---

(١) من بلاغة النظم العربى د. عبدالعزيز عرفة :ص١٣٧.

فهو هنا يرسم صورة حقيقية لما عليه قومه من تفرق لكلمتهم ،وتشتت لوحدتهم، مؤكداً ذلك بأسلوب النداء (يا لهف نفسى) الذى جاء على خلاف مقتضى الظاهر للتحسر والحزن عليهم، بينما عدوهم الذى يتربص بهم الدوائر قد أجمع أمره منتظراً لحظة الانقضاض عليهم، والثأر منهم.

ومما ساعد فى إبراز الحالة النفسية الحزينة لدى الشاعر هنا ، انتقاؤه للفظ (لهف) فى قوله: (يا لهف نفسى) لإظهار التحسر على أمر فائت، وهذا ملائم لجو الحزن والأسى الذى أشاعه الشاعر بين أبيات القصيدة.

أما الموضع الرابع والخامس والسادس للنداء فقد جاء فى قوله:

يـــا قـــوم إن لكم من إرث أولكم مجـــدا قد أشفقت أن يغنى وينقطعا
يـــا قـــوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا علـــى نســـائكـــم كسرى وما جمعا
يـــا قـــوم بيضتكم لا تفجعن بها إنـــى أخـــاف عليها الأزلم الجزعا

للحث والتحريض، حيث إن الفكرة العامة التى تدور حولها الأبيات الثلاثة السابقة هى التحريض على القتال من خلال اتكاء الشاعر على غريزة المحافظة على الماضى التليد والحاضر معا، ومن خلال استثارة الغيرة على العرض والمحافظة عليه، ثم تذكيرهم بحماهم وواجبهم فى الذود عنه ،حتى لا يفجعوا فيه إن فرطوا.

ونلاحظ أن النداء فى قوله:

(يا قوم إن لكم من إرث أولكم)

(يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا)

(يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها)

هو الوسيلة الملائمة التى يصل عن طريقها الشاعر إلى المطلوب من حث وتحريض على القتال والحرب،والمدافعة عن الوطن وحمايته.

ولأن الموقف موقف حث وتحريض ،فهو يحتاج إلى أن يتقرب ويتودد إلى قومه بالحديث الصريح البعيد عن المجاز متخذا من النداء وسيلة لذلك، فالنداء بـــ(يا) للبعيد إلا أنه أنزله منزلة القريب للدلالة على أن المنادى (قومه) حاضر فى القلب لايغيب عنه أصلا كالمشهود الحاضر[١].

كما أن الأسلوب الطلبى (النهى)هنا له قدرة على الإقناع (لا تأمنوا ، لا تفجعن بها) مما يلفت النظر إلى استثارة قومه وتحريضهم على القتال، بل جعله يتضمن معنى التحذير والتخويف، فهو يخوفهم أولاً من المحافظة على الماضى إن هم فرطوا فى حاضرهم ،ويحذرهم ثانياً من استباحة كسرى لنسائهم إن تغلبوا عليهم وهزموهم، ويخوفهم ثالثاً من خلال تذكيرهم بحماهم وواجبهم فى الذود عنه.

وفى تكرار الشاعر لحرف النداء فى قوله: (يا قوم) ثلاث مرات ، يعتبر نقطة مركزية يعود إليها كل حين، ليبدأ موقفا جديدا يعكس بعضا من ملامحه النفسية ، ورؤيته التحذيرية التى يسعى جاهدا للتاكيد عليها.

وتحذيره هذا لا يصدر إلا مع الحرص على استمرار أمر يحبه ، وهو قوميته العربية ،وخشيته أن يضيع مجد آبائه وأجداده .

---

(١)من بلاغة النظم العربى د. عبدالعزيز عرفة :صـــ١٣٦.

(٥)

(العَـــــرْض)

العرض بفتح العين وسكون الراء، وأداته (ألا) بتخفيف اللام ، يفيد التنبيه على الفعل ، وهو طلب مع لين ورفق.

ويختلف عن التحضيض فى أن التحضيض: زيادة توكيد وحث ، كما أن التحضيض فيه حث مع إزعاج، وأداته (هلاّ) بتشديد اللام، وتجمعهما التنبيه على الفعل.

فمثال العرض قول الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرما قد حدثوك، فمـــا راء كمن سمعا؟

ويأتى التحضيض فى مثل قول عبيد ين الأبرص الأسدى رداً على امرئ القيس عندما هدد وأنذر قبيلة عبيد لقتلها حجرا والده ، قال عبيد بن الأبرص:

يا ذا المخـــوفنـــا بقـــتـــــل أبيـــه إذلالا وحينا
هلا على حجر بن أم قطـــام تبكـــى لا علينـــا؟
هـــلا سألـــت جمـــــوع كنـــــدة يـــــوم ولـــوا : أين أينا؟ (١)

وفى قصيدة لقيط نجد أن العرض وقع فى بيت واحد فى قوله :

ألا تخـــافـــون قـــومـــا لا أبالكم أمســـوا إليكـــم كأمثـــال الدبى سرعا

صدّر الشاعر هذا البيت بأسلوب الحث والتحضيض ، وهو ما يسمى بالعرض فى قوله (ألا تخافون قوما) حيث أراد من خلاله تصوير جيش فارس

---

(١) علم المعانى د. عبدالعزيز عتيق ص ٨٠ ، ٨١.

الكثير العدد بالجراد الصغير فى قوله :(كأمثال الدبى) ، ومعروف أن الصغير من الجراد يكون أكثر عدداً من الكبير، لذلك قال (الدبى) ولم يقل (الجراد)، وقد قصد من وراء هذا العرض أنه يوقظ قومه من غفلتهم ، ليحسبوا حساب هذا الجيش الزاحف ويستعدوا له.

أما جملة (لا أبالكم) فهى جملة دعائية، قصد بها الشاعر الحث على القتال، وإعلانه عن عدم الرضا عن أمر تقاعسهم وخضوعهم.

وبعد..

فالإنشاء الطلبى بجمالياته المختلفة فى عينية لقيط بن يعمر الإيادى من أمر ونهى واستفهام ونداء وعرض، لم يجئ مقحما تمجه الأسماع، وتجافيه الأذواق، وترغب عنه النفوس، وإنما جاء عفويا غير متوقع، وفى صور شتى، مما أحدث فى النص الشعرى تنوعا، وعند المتلقى متعة، بتناغمه الداخلى، وانسجامه السياقى البلاغى ، وهو ليس غاية فى حد ذاته، وإنما هو وسيلة فنية، وإبلاغية لتوصيل المعنى وتحديده، وبالتالى أداة لوظيفة بلاغية.

ومن أجل ذلك ظل سمة أسلوبية لها أثرها اللافت، ودلالتها العميقة والمؤثرة الحرية بالدراسة، لأننا أمام شاعر يحمل فى شعره بذور حياته، وقضايا مجتمعه، وذلك من خلال انفتاح دلالاته، وسعة أفقها، وسماته البلاغية التى جاءت متناسقة تصب كلها فى تيار واحد يعكس التجربة الصادقة للقيط بن يعمر، وقد وفق شاعرنا فى تشكيله لهذه الظاهرة البلاغية بحسب المثيرات النفسية، والتى كشفت فى الوقت نفسه عن جوانب إبداعية فى فنه الشعرى.

الخاتمة

نحمد الله على جزيل إحسانه، ونستمد منه العون والتوفيق والتأييد، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه ـــ وعلى من اقتدى بسنته، واهتدى بهداه.

وبعد..

فمن خلال مصاحبتنا في هذه السياحة المشوقة للشاعر لقيط بن يعمر الأيادي في قصيدته العينية، وما تحمله من دلالات نفسية عميقة، وقيمة أدبية رائعة، وبراعة فنية ممتعة، وعواطف شجية متألمة، يحسن بي أن أشير إلى أهم النتائج التي تضمنها هذا البحث إثر هذه الصياغة، وتتمثل فيما يلي:

ـــ جاء المطلع في قصيدته العينية، مصرعا في البيت الأول مما يدل على انتمائه إلى مذهب الشعراء المطبوعين الذين تتميز مطالعهم ببراعة الاستهلال، لأن المطلع هو أول ما يصافح الآذان، ومن ثم يمنح القصيدة إيقاعا موسيقيا متناغما، يبرز الأبعاد الدلالية للأصوات المترددة.

ـــ أجاد الشاعر باقتدار في الربط بين مطلع القصيدة الغزلي وموضوعها التحذيري، في إطار من الانسيابية الخالصة من التعقيد والمفاجأة.

ـــ استطاع الشاعر ببراعة بلاغية فائقة اختيار الألفاظ التي تناسب الجو التحذيري الذي أنشئت من أجله القصيدة، فجاءت كل كلمة في مكانها المعبر البليغ.

ـــ رتب الشاعر قصيدته ترتيباً منطقياً من حيث تلاؤم الأفكار وارتباطها ببعضها في شدة وإحكام ، والإعلان عن الجو النفسي الذى سيقت من أجله

القصيدة، ومن ثم جاءت في لوحة فنية متكاملة ومتماسكة، يشد بعضها ببعضها كالبنيان المرصوص.

ـــ خرج الشاعر بالأساليب الإنشائية من معانيها الحقيقية إلى معان مجازية ، إلا ما كان من أوامر ونواهي صريحة يستلزمها المقام، ويتطلبها السياق.

ـــ ارتبط أسلوب الأمر بالكنايات المتعددة في كثير من أبيات القصيدة، مما ينبئ بشاعرية فذة، وقدرة عالية في التبصر بأمور الحرب والقتال.

ـــ جاءت هذه الكنايات المرتبطة بالأمر متسقة مع نفثاتة العاطفية والوجدانية، مما يدل على حبه وانتمائه القومي وقبيلته، ولإحداث تشكيل تلويمي في الحث والتحريص بأكثر من وسيلة تدعم الموقف وتقويه.

ـــ دعم الشاعر أسلوبه الطلبي بالأسلوب الإقناعي ليكون بمثابة التهيئة لأمر القتال، وأخذ العظة والعبرة، وبعث روح العزيمة والثبات التي افتقدها في قومه من خلال تمثله لشخصيتى مالك بن قنان، وعمرو القنا.

ـــ جاء أسلوب النهي مغلفا بالإقناع والدليل والبرهان القائم على الحث والتحريض والتحذير والتخويف، لينفذ من خلاله إلى مشاعر قومه حتى تتحقق أهدافه ومراميه، دون أن نلمس إيجازاً مخلاً بالمعنى المراد، أو إطناباً يمجه المستمع أو يستغني به عن غيره.

ـــ ورد الاستفهام في قصيدته على قلتة تحريكاً وإثارةً للمخاطب في الذود عن عرضه وواجبه تجاه قومه وقبيلته، متمنيا أن يكون هناك من يشاركه الرأي، ويستمع إلية فيعمل بما سمع، واضعا الممكن مكان المستحيل، مما يضفي على أسلوبه الحيوية، والنبض بإيحاءات تشبع القارئ، وتثير فيه روح المشاركة والمتابعة.

ـــ جاء أسلوب النداء في بعضه على حقيقته في قول الشاعر:((بل أيها الراكب المزجي مطيته)) وذلك تنبيهاً على عظم الأمر المدعو إليه وعلو شأنه، بأن يبلغوا قومه برأي منه واضح ناصع، فيه فائدة لهم إن لم يعصوه.

ـــ في مواقف الحث والتحريض على مواجهه العدو ينزل الشاعر النداء البعيد منزله القريب، للدلالة على أن المنادي(قومه) حاضر في قلبه لا يغيب عنه أصلاً كما المشهود الحاضر.

ـــ جاء أسلوب النداء مكرراً في بعض أبياته مما يعتبر نقطة تحول يعود الشاعر من خلالها كل حين، ليبدأ موقفاً جديداً يعكس بعضا من ملامحه النفسية، ورؤيته التحذيرية التي يسعى جاهدا للتأكيد عليها.

ـــ حضر أسلوب العرض في قصيدته كلمحه سريعة في بيت واحد، إلا أنه أعطى زخماً معنويا كبيراً قصد من ورائه الحث على القتال، وإعلانه عدم الرضا من تقاعس قومه عما يحذرهم منه ويحثهم عليه.

ـــ جاء الإنشاء الطلبي بجمالياته المختلفة بعيدا عن الإقحام، فلم تمجب الأسماع وتجافيه الأذواق، وإنما جاء عفو الخاطر في صور شعرية شتى، مما أحدث في النص الشعري تنوعا، وعند المتلقي متعه بتناغمه الداخلي، وانسجامه السياقي البلاغي.

هذا عن النتائج، أما التوصيات فإنها تتمثل في ضرورة التصدي لإبراز التجارب الإبداعية لدى الشعراء، وبيان قيمتها الجمالية والبلاغية، ومصاحبتهم في أفراحهم وأتراحهم من خلال هذه التجارب، فهناك الكثير من الشعراء الذين أصابتهم المحن وتوالت عليهم النكبات، فجعلوا من أشعارهم معينا لهم في محنتهم، ومتنفسا يعبر عما يجيش في صدورهم ، لذا فهم في

حاجة ماسة لمن يهتم بنتاجهم الشعري، ويخرج به إلى النور لما فيـــه مـــن الجمالية البلاغية، والشاعرية المتدفقة، التي تغري بالبحث والدراسة.

وأخيرا لا أرغم أن هذا البحث برئ من العيوب والمآخذ، ولكن حسبي أنني أخلصت النية، وأضفت لبنه جديدة في صرح مكتبة الدراسات البلاغية، فإن فاتتني الغاية فلم يفتني شرف السعي إليها .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل ٠

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

ـــ الأساليب الإنشائية في النحو العربي- عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة – ط – ثانية .

ـــ الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ ط ــ دار الفكر ــ بيروت سنة ١٩٦٩م.

ـــ الإيضاح في علوم البلاغة ـــ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ـــ تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ــ ط ــ السنة المحمدية ــ القاهرة د ــ ت.

ـــ بغية الإيضاح ــ عبد المتعال الصعيدي ــ مكتبة الآداب ــ القاهرة ط ــ سابعة.

ـــ البلاغة الاصطلاحية د. عبده عبد العزيز قلقيلة ــ دار الفكر العربي ــ مطابع الدجوي ــ القاهرة ــ سنة ١٩٨٧م.

ـــ البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ــ د. فضل حسن عباس ــ الأردن ــ عمان ــ ط أولى ــ سنة ١٩٨٥م.

ـــ البنيات الأسلوبية في الشعر العربي ــ د. مصطفى السعدني ــ منشأة المعارف ــ الإسكندرية ــ سنة ١٩٨٧م.

ـــ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ــ السيد أحمد الهاشمي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط ــ ثانية عشرة ــ د.ت.

ـــ ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ــ تحقيق عبد المعين خان ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٧م.

ـــ الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة الدينوري ــ تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ ط ــ ثالثة .

ـــ الصورة الأدبية د. مصطفى ناصف ــ دار الأندلس ــ ط ــ ثانية ــ سنة ١٩٨١م.

ـــ علم المعاني ــ د. عبد العزيز عتيق ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٥م.

ـــ علم المعاني ــ د. قصى سالم ــ بغداد ــ سنة ١٩٨٥م.

ـــ العين ــ الخليل بن أحمد الفراهيدي ــ تحقيق ــ مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ــ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ــ العراق ــ دار الرشيد للنشر.

ـــ مختارات ابن الشجري ــ تحقيق ــ محمد علي البجاوي ــ ط ــ دار نهضة مصر ــ سنة ١٩٧٥م.

ـــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ــ د. أحمد مطلوب ــ الجزء الأول ــ ط ــ المجمع العلمي العراقي ــ بغداد ــ سنة ١٩١٣م.

ـــ الكتاب ــ سيبويه ــ أبوبكر عمرو بن عثمان قنبر ــ تحقيق ــ عبد السلام هارون ــ عالم الكتب ــ بيروت سنة ١٩٦٦م.

ـــ المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ إشراف ــ عبد السلام هارون ــ ط ــ مصر ــ القاهرة ــ سنة ١٩٦٠م.

ـــ مفتاح العلوم ــ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ــ ط ــ مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ط أولى ــ سنة ١٩٣٧م.

ـــ من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ــ د. عبد العزيز عرفة ــ عالم الكتب ــ ط ثانية ــ سنة ١٩٨٧م.

ـــ المنثور والمنظور ــ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ــ تحقيق ــ محسن عياص ــ بيروت ــ سنة ١٩٧٧م.